



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامـــعـــة 8 مـــــاي 45

- قالــــــــمــــة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

التخصص: تاريخ عام

قسم التاريخ

الصراع الإسلامي البيزنطي على الثغور البرية

خلال العصر العباسي الأول 132-232 هـ / 749 – 847 م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

إعــداد الطالبتين:

- درابسية أسماء
- نقايقي بشرى

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

- كمال بن مارس

أعضاء لجنة المناقشة:

الاستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. سناء عطابي	أستاذ محاضر ب	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
أ.د كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945
د. فواد طوهارة	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية 1438-2017/1439-2018

شكر وتقدير

بداية نتوجه بالشكر الجزيل وإلى المولى تعالى الذي أنعم علينا بهذا وأعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه وإليه يرجع كل الفضل.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور "**كمال بن مارس** " الذي أفادنا بنصائحه وإرشاداته القيمة وكان سندا لنا. كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كافة الأساتذة والدكاترة في قسم التاريخ، الذين أفادونا بنصائحهم وتوجيهاتهم العلمية ودعمهم المعنوي حتى نهاية هذا المسار البحثيونسأل الله أن يبارك هذا العمل وليجعله خيرا للبحث العلمي وأن يوفقنا إلى ما فيه خيرا وصلاحا لنا.



إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على سيدنا محمد أشرف المرسلين

وعلى آله و صحبه أجمعين.

أهدي ثمرة جهدي

إلى من أحب بسمتي وتعب لراحتي ، وهو مفتاح صبري

وسر هنائي أبي العزيز" محفوظ"

إلى من هي أرق من النسمة وأطيب من العطر، إلى سندي في

الأيام والليالي أمي الغالية "عقيلة "

حفظهما الله لي

إلى منبع اعتزازي وسندي في الحياة إخوتي: بلال وخالد وزين الدين

إلى فرحة البيت وبراعم السعادة: أميرة ورنيم

إلى من شاركتني هذا العمل صديقتي درابسية أسماء

إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها صديقاتي: أسماء، سهام، وفاء، شهرة

إلى كل من عرفتهم ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي.......

بشرى



إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على سيدنا محمد أشرف المرسلين

وعلى آله و صحبه أجمعين.

أهدي ثمرة جهدي

إلى من أحب بسمتي وتعب لراحتي ، وهو مفتاح صبري

وسر هنائي أبي العزيز" أحسن"

إلى من هي أرق من النسمة وأطيب من العطر، إلى سندي في

الأيام والليالي أمي الغالية "سامية "

حفظهما الله لي

إلى من معها كبرت وعليها اعتمدت، إلى من أمسكت بيدي لأصل أعلى المراتب أختي وحبيبة قلبي "إيمان"

إلى فرحة البيت وبرعم السعادة: محمد أمير

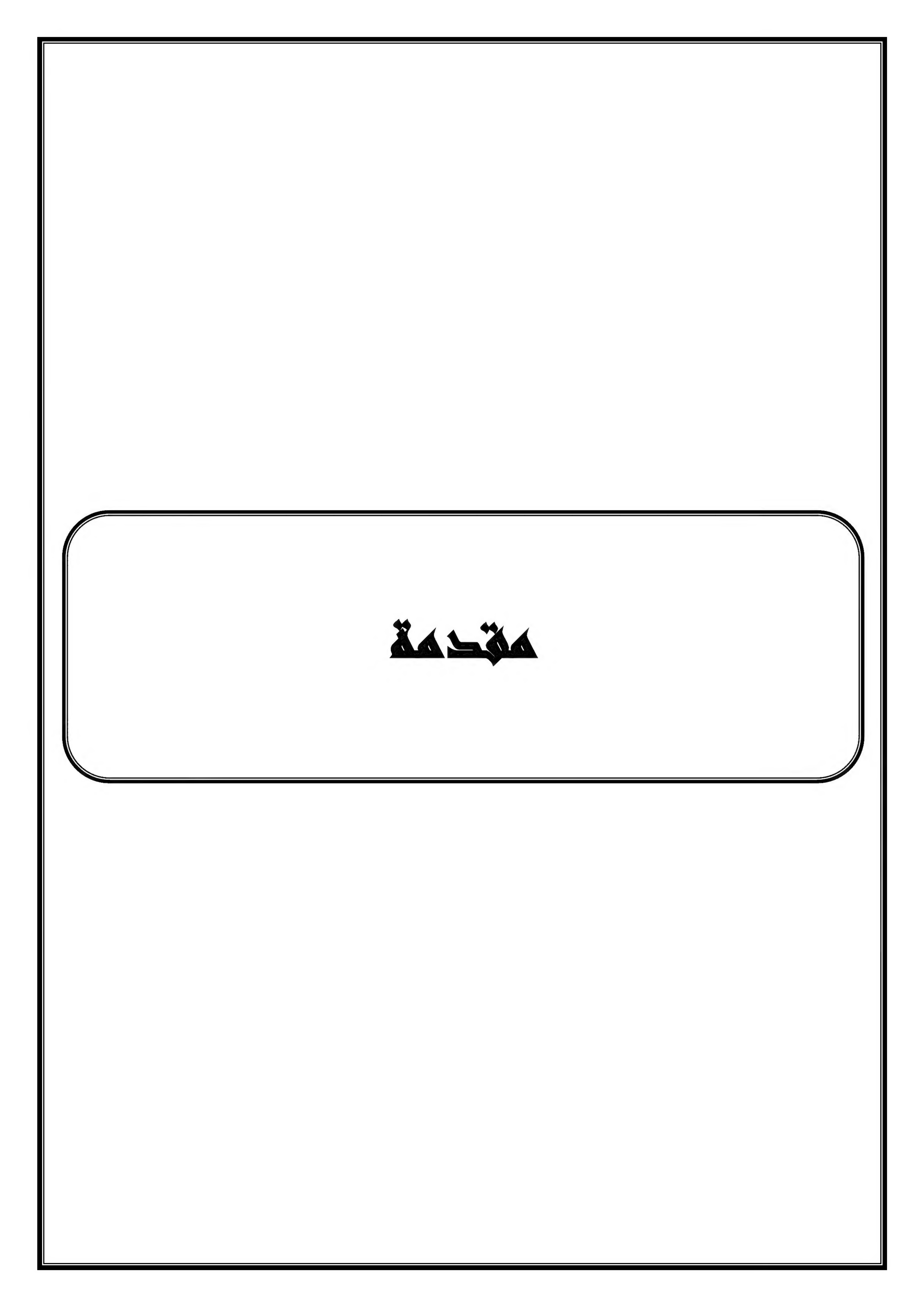
إلى من شاركتني هذا العمل صديقتي نقايقي بشرى

إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها صديقاتي: بشرى، سهام، وفاء

وإلى توأم روحي، وابنة خالتي "زينب"

إلى كل من عرفتهم ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي.......

أسماء



مقدمة

المقدمة:

لقد كانت الدول والأمم عبر مراحلها التاريخية تعتمد على نظام الثغور في حماية نفسها من الأخطار الخارجية وذلك بوضع نظم ووسائل دفاعية على الحدود، تطورت هذه الوسائل تبعا لتطور الدول وزيادة الخطر عليهم لهذا فإن العباسيين اتبعوا نظاما يتماشى مع وضع دولتهم وخطر البيزنطيين الذي يهدد حدود الدولة الإسلامية، حيث شهدت تلك الحدود حالة صراع متواصل بين المسلمين والروم بدءًا من عهد الخلفاء الراشدين مرورًا بالعهد الأموي حتى العصر العباسي الأول والثاني.

هذا البحث هو إلقاء للضوء وتوضيح العلاقة العدائية الدائمة بين المسلمين والبيزنطيين وعن الثغور البرية التي لعبت دورًا كبيرًا كخطوط دفاعية عن حدود الدولة الإسلامية، لذلك وجه خلفاء بني العباس اهتماما واضحًا لتلك المناطق، فعملوا على بنائها وتحصينها وتزويدها بأحسن القادة والمقاتلين لتكون قاعدة للحملات العسكرية المتوجهة لبلاد الروم، وكذلك مراكز لجمع المعلومات والتفاصيل عن بلاد الأعداء، بالإضافة إلى كونها ميدانًا للتبادل الحضاري بين الطرفين.

1- إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا الموضوع حول مدى تأثير الاتصال الحربي بين المسلمين والبيزنطيين في منطقة الثغور على الحياة الحضارية للجانبين التي يمكن أن نحددها من خلال التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالثغور؟
- كيف كانت العلاقة بين الروم والعباسيين؟
- ما مدى اهتمام خلفاء بني العباس بمناطق الثغور؟
- ماهي أهم التنظيمات العسكرية التي اتخذها المسلمون لحماية حدودهم؟
- كيف كانت أحوال الثغور خلال فترة الصراع العباسي البيزنطي؟

2- دواعي اختيار الموضوع:

- محاولة الاطلاع على أحداث العصر العباسي الأول باعتباره من أهم المحطات العسكرية في التاريخ الإسلامي.

- الرغبة في تسليط الضوء على أهم نقاط الاحتكاك الحضاري بين البيزنطيين والمسلمين.

- كذلك من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع تشجيع الأستاذ الدكتور المشرف على خوض غمار البحث في هذه الفترة المهمة من تاريخ الحضارة الإسلامية.

3- خطة البحث:

حسب المادة العلمية التي تمكنا من جمعها ووفقًا للمنهج المتبع في هذه الدراسة، تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول وهو بعنوان الثغور الإسلامية البرية وعوامل نشأتها، ويشتمل على أربعة مباحث الأول خصص للتعريف بالثغور وقد حددنا فيه التعريفين اللغوي والاصطلاحي، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى دواعي إنشاء الثغور، أما المبحث الثالث فقد اشتمل على تقسيمات الثغور المتفق عليها من طرف المؤرخين والجغرافيين مع ذكر لأهم الثغور، وجاء المبحث الرابع تحديدًا لجغرافية المنطقة وتقسيماتها وأهم تضاريسها من جبال وأنهار ووديان.

أما الفصل الثاني فقد تناول التنظيمات العسكرية العباسية ودورها في حماية الثغور، ويحوي أربعة مباحث أبرزنا في الأول العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين في ذلك العصر، والثاني تحدثنا فيه عن اهتمام الخلفاء العباسيين بالثغور من بناء وتحصينات ودورهم في تزويدها بالجنود والعتاد، أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه الحملات العسكرية التي قادها الخلفاء ضد الروم و كيف سعى كل طرف لحماية حدوده البرية بمختلف التحصينات والوسائل الدفاعية، والرابع تضمن إرسال الصوائف والشواتي وكيف أصبحت تخرج حملات منتظمة إلى بلاد الروم.

وكان الفصل الثالث خاصًا بأوضاع الثغور في العصر العباسي الأول وشمل ذلك الحياة الاقتصادية وكيف كان شكل الزراعة والصناعة والتجارة فيها، ثم الأوضاع الاجتماعية حيث حاولنا رصد أهم تلك العناصر التي سكنت المنطقة، والأوضاع الثقافية من حيث أشكال الحياة العلمية وعوامل ازدهارها، وأبرز العلوم والعلماء الذين ظهروا في ذلك العصر.

الرابع والأخير بعنوان الأدوار التي لعبتها الثغور بداية من الدور السياسي وكيف أنها كانت مسرحًا لنهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وساحة للصراع العباسي البيزنطي، ثم الدور الاقتصادي وكيف أنها كانت عبئًا على بيت المال رغم أنها كانت موردًا مهمًا له، ومن ثم الدور الأمني العسكري وكيف كانت منطقة لرصد المعلومات عن العدو، وانتهاءً بالدور الثقافي وكيف كانت منطقة للاحتكاك الحضاري بين الطرفين.

واشتملت الخاتمة على جملة من النتائج نذكر منها:

- اتبع خلفاء بني العباس في حمايتهم لتخوم بلادهم على أسلوب الحملات العسكرية السنوية المنظمة، إلا أنه لم يقتصر على ذلك بل وصل بهم الأمر لقيادة هذه الحملات بأنفسهم كما فعل المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم.
- بالرغم من أن الهدف الأساسي الذي أنشأت من أجله الثغور كان هدفًا عسكريًا، إلا أنها لعبت أدوار متعددة امتدت للمجال السياسي والأمني والحضاري.

4- أهداف البحث:

- التعريف بالثغور وحدودها الجغرافية.

- استعراض أهم الثغور الشامية والجزرية على الحدود العباسية البيزنطية.

- الكشف عن دور الخلفاء العباسيين في تشجيع الناس بالجهاد في الثغور من خلال منحهم العديد من الامتيازات.

- إظهار الناحية الحضارية والاقتصادية والاجتماعية الموجودة في الثغور.

5- منهج الدراسة:

اتبعنا في بحثنا على المنهج التاريخي الوصفي لأن الموضوع يحتاج إلى عرض بعض المناطق الثغرية ووصف طبيعة جغرافيتها من تضاريس وأنهار وغير ذلك.

كما اعتمدنا كذلك على المنهج السردي من خلال ذكر تسلسل أحداث الحملات الواقعة في فترة البحث. إضافة إلى المنهج الإحصائي من خلا الجداول الإحصائية التي تحدد النفقات التي صرفها بيت المال العباسي في المجال العسكري.

6- الصعوبات:

- قلة المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع.

- واجهنا صعوبة في تحديد جغرافية الثغور لقلة المادة العلمية المتخصصة (الكتب التاريخية الي تتناول جغرافية الثغور البرية وكذا ندرة الخرائط الجغرافية القديمة).

7- الدراسة النقدية لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادت البحث بشكل مباشر نذكر من أهمها:

مصادر التاريخ العام:

- كتاب "**فتوح البلدان**" للبلاذري (ت279هـ/892م) وهو عبارة عن سجل شامل للفتوح الإسلامية، ولقد أفادنا في دراستنا خاصة في الفصل الأول الثاني، من خلال ذكر معلومات وافية حول مناطق الثغور وظروف فتحها وبنائها ومميزات كل بلد منها، بالإضافة إلى أهم هجومات الروم على الثغور وكيفية رد المسلمين عليهم.

- خليفة بن خياط (ت240هـ/854م) من مؤلفاته كتاب "**التاريخ**"، والذي أفادنا في الفصل الرابع وبالخصوص في المبحثين الأول والثاني من خلال ذكر أهم الثورات السياسية المعارضة للحكم وتصدي الخلفاء لها مثل: ثورة عبد الله بن علي العباسي سنة 136هـ/754م. وفي المجال الاقتصادي زودنا ببعض المعلومات عن الغنائم التي كانت تعود بها الحملات العسكرية مثل: صائفة عبد الملك بن صالح التي انطلقت سنة 175هـ/791م، والتي عادت ب 19 ألف رأس من الروم.

- وكتاب "**تجارب الأمم وتعاقب الهمم**" ليعقوب مسكويه (ت421هـ) وقد استفدنا من الجزء الثالث منه والذي ذكر معلومات عن خلفاء بني العباس كلى خليفة على حدى، معتمدًا في ذلك على طريقة الحوليات (تتابع السنين)، حيث مكننا من دراسة الحملات العسكرية التي قام بها الخلفاء خلال ولايتهم للعهد، فوظفنا هذه المعلومات في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

المصادر اللغوية:

لقد استفدنا كثيرا من بعض الكتب في تحديد بعض التعريفات والمصطلحات، خاصة في المبحث الأول من الفصل الأول وتحديدا في التعريف اللغوي والاصطلاحي للثغور ومن بينها نذكر:

- ابن سيده (ت458هـ/1065م) في كتابيه: "**المخصص، والمحكم والمحيط الأعظم**".

- ابن منظور (ت711هـ/1311م) في كتابه" **لسان العرب**".

-ابن دريد (ت321هـ/933م) في كتاب" **جمهرة اللغة**".

مصادر التراجم والشخصيات:

كان من الضروري علينا العودة لكتب التراجم والشخصيات بسبب طبيعة البحث وتنوع جوانبه حيث كان منها:

- كتاب "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**" لأبي العباس ابن خلكان (ت681هـ/1282م)، والذي يحوي تراجم وافية عن حياة شخصيات مهمة، وقد أفادنا كثيرا في التعرف على بعض الشخصيات خاصة في المبحث الثالث من الفصل الثالث، مثل: شخصية أبي تمام حبيب ابن أوس الطائي.

_ كتاب "**سير أعلام النبلاء**" للذهبين والذي أفادني في معرفة معظم الشخصيات الخاصة بالمبحث الثالث الفصل الثالث، مثل: شخصية أبي اسحاق الفزاري والإمام الأوزاعي.

المراجع:

- كتاب "**بلدان الخلافة الشرقية**" لكي ليسترنج، ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من المعلومات تخص البلدان التي تنتمي إلى العالم الإسلامي بما فيها الثغور، وقد أفادنا هذا المرجع خاصة في المبحث الرابع من الفصل الأول في التعرف على حدود بعض الثغور.

- كتاب "**دولة بني العباس**" لشاكر مصطفى، والمتكون من جزئيين يتحدث فيه عن التاريخ السياسي للدولة العباسية، حيث أفادنا في الفصل الثاني، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين العباسيين والروم، ومعرفة أهم الصراعات التي حدثت بين الطرفين، بالإضافة إلى توضيح أعمال الخلفاء العباسيين في مجال حماية الثغور.

- كتاب "**الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى**" لدكتورة علية عبد السميع الجنزوري، والذي أفادنا في الفصل الأول في تحديد جغرافية الثغور وتقسيماتها ودواعي إنشائها.

الرسائل الجامعية:

ومن بين الدراسات التي استعننا بها:

- رسالة ماجستير بعنوان" **القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري (ق 11-12م)**"، للباحثة وردى العابد من جامعة قسنطينة (2007-2008م)، وقد استفدنا من هذه الدراسة في التعرف على بعض مصادر الفصل الأول الخاصة بتعريف الثغور.

- رسالة ماجستير بعنوان " **الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي 132-491هـ/750-1097م**"، للباحث زهير عبد الله سعيد أبو رحمة من كلية

الآداب الجامعة الإسلامية غزة، وأفادتنا في المبحث الثالث من الفصل الثالث الخاص بالأحوال الثقافية.

المقالات والدوريات:

- جميل عبد الله محمد المصري، "**طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور**"، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة العشرون، العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، محرم-جمادى الآخر، المدينة المنورة، 1408هـ/1988م. والذي أفادنا في المبحث الثاني من الفصل الثالث وبتديد في رصد أهم الطوائف السكانية في منطقة الثغور.

- سناء عبد الله عزيز الطائي، "**اقتصاديات الثغور في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد**"، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، م9، العدد الثالث، 2010/04/07م، جامعة الموصل، العراق. وقد استفدنا منها في المبحث الثاني من الفصل الرابع في تحديد بعض الموارد التي كتنت تدخل إلى بيت المال العباسي كالغنائم وغيرها.

الفصل الأول: الثغور الإسلامية البرية وعوامل نشأتها

المبحث الأول: تعريف الثغور

المبحث الثاني: دواعي إنشاء الثغور

المبحث الثالث: تقسيمات الثغور في العصر العباسي الأول

المبحث الرابع: جغرافية الثغور

المبحث الأول: تعريف الثغور

باعتبار الثغور كلمة لها عدة دلالات، ولتوضيح معناها، سنشرع في تعريفها لغة واصطلاحا، ثم سنوضح أسباب نشأة هذه الثغور مع التطرق إلى جغرافيتها.

1- الثغور لغة:

أخذت كلمة الثغر العديد من المعاني والدلالات في مصادر ومعاجم اللغة منذ قديم الزمان، وهذا من خلال اشتقاقاتها، فهي كل فرجة منفتحة في جبل أو بطن واد، أو طريق مسلوك[1] والثغرة تعني الثلمة، يقال: "ثغرناهم أي سددنا عليهم فرجة الجبل"[2]، والثغر هو المكان الذي يلي دار الحرب مباشرة[3]، وقد عرفها ابن دريد[4] بأنها إنبات الأسنان أو سقوطها حيث قال: "أثغر الغلام إذا نبت ثغره، وأثغر إذا ألقى ثغره أي أسنانه"، فالثغر إذن هو ثغر الإنسان، وقد اتفق معه ابن فارس[5] حيث قال "ثغر الصبي إذا سقطت أسنانه وأثغر إذا نبتت بعد السقوط".

كما ذكرت كلمة الثغر بمعنى الفم[6] في كتب كثيرة، إلا أن ابن سيده[7] قام بتوضيح أكثر لهذه الكلمة عندما قام بوصف أعراض الأسنان قبل أن تنبت فقال: "الرتل هو اتساق الأسنان واستوائها، ثغر رتل، وامرأة رتلة الثغر، أي أسنانها مستوية ومنتظمة". ومما سبق ذكره، يمكننا استخلاص أن المقصود بالثغر هو الفراغ الموجود بين الشقين والذي يسهل سده، وفي نفس الوقت نستطيع العبور منه.

---

[1] أنظر: المعجم الكبير، إشراف شوقي ضيف، مؤسسة روزاليوسف الجديدة، ط1، مصر، 1992، ج3، ص272. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، (د، ت)، م4، ص103، 104.

[2] انظر: ابن منظور، المصدر نفسه، م4، ص103، 104. لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، ط19، بيروت، (د، ت)، ص70.

[3] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000، ج5، ص483.

[4] جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987، ج1، ص421.

[5] معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، تح: محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001، ص167.

[6] ابن سيده، المصدر السابق، ج5، ص483.

[7] المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ج1، ص149.

2- الثغور اصطلاحا:

أجمع علماء اللغة على تعريف اصطلاحي واحد، فهو عند ياقوت الحموي[1] الموضع القريب من أرض العدو، وعند ابن سيده[2] موضع المخافة من فروج البلدان الذي يلي دار الحرب، وهو من البلاد المكان الذي يهاب منه هجوم الأعداء، فهو كفتحة في حائط يخاف هجوم السارق منها[3]، وهناك من يقول بأنه الموضع الذي يفصل بين المسلمين وغيرهم[4].

وقد عرفت الثغور بأنها المنطقة المحصنة التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة والتي هي عبارة عن حاجز يصد غزوات الروم[5]، وذلك لشيوع استعمال هذا المصطلح عند المشارقة قبل استعماله في المغرب الإسلامي، فهذه المناطق كانت موضع الصراع بين المسلمين والبيزنطيين لكونها على التخوم من هذه الجهة أو تلك، وكانت معرضة لهجمات المرابطين والمحاربين[6].

فالإقامة في الثغور تسمى الرباط، والرباط هنا هو إقامة المجاهد بالثغر لحماية المسلمين من الأعداء ويقصد بالرباط رباط الخيل، لأنهم كانوا يربطون خيولهم وكل يعد لصاحبه، فسمي المقام بالثغر رباطًا حتى وإن لم يكن فيه خيل، لأن فضله عظيم وأجره كبير[7].

والراجح أن ثغور المسلمين أيام عمر وعثمان _ رضي الله عنهما_ كانت أنطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرشيد عواصم، فقد كان المسلمون يغزون ما وراءها، كغزوهم لما وراء

---

[1] المشترك وضعا والمفترق صقعا، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1986، ص78.

[2] أنظر: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج5، ص285. نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسن بن عبد الله العمري وغيره، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1999، ج1، ص849.

[3] المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 1987، ص81.

[4] شوقي ضيف، المعجم الكبير، ج3، ص271.

[5] صونية بن سخرية، الثغور البرية الإسلامية دورها الحربي وأثره في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية خلال العصرين الأموي والعباسي الأول 41-232هـ/661-847م، (رسالة ماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2012-2013)، ص3.

[6] وردة العابد، القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى في الأندلس في القرن 5هـ حتى الربع الأول من القرن 6هـ (ق11-12م)، (رسالة ماجستير)، جامعة محمود قسنطينة، (2007-2008)، ص3.

[7] ابن قدامة المقدسي، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، 1968، ج9، ص203، 204.

طرسوس، حيث كان بين الإسكندرونة وطرسوس حصون ومسالح[1] لروم كالحصون والمسالح التي كان يمر بها المسلمون في ذلك الوقت[2].

ويذكر ابن خرداذبة[3] في حديثه عن العواصم فيقول: سمي كل واحد منها عاصما لأنه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير، ثم ينفر إليه من أهل أنطاكية والجومة[4] والقورس[5]، إلا أن هذا يتنافى مع ما جاء في بعض المصادر الأخرى من تعابير الثغور والعواصم والتي هي أسماء مختلفة لنفس الشيء، لأن كل من العواصم والثغور كانا مسرحًا لحروب دامية بين الدولة البيزنطية والمسلمين، وظلت مستعملة كمصطلح جغرافي من قبل الجغرافيين العرب حتى فترة الحروب الصليبية والمماليك[6].

كما يورد قدامة بن جعفر[7] تفصيلا للثغور الإسلامية، والتي جعلها في ثلاثة أقسام: برية مواجهة لبلاد العدو (الروم) من ناحية البر فقط، وبحرية تواجهه من ناحية البحر فحسب، ومنها ما يجتمع فيه الأمران، أي تكون برية بحرية يحارب فيها المرابطون الأعداء عن طريق البر والبحر، واجبها الأساسي مواجهة الخطر الخارجي الموجه من قبل الأعداء[8]، كما يطلق على المدينة المقامة على شط البحر ثغرًا[9].

---

[1] المسلح: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والحاء مهملة، الواحد مسلحي، ومسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق، ويتجسسون خبر العدو، ويعلمون لهم عملهم لئلا يهجم عليهم ولا يدعون أحد من العدو يدخل بلاد المسلمين وإن جاء جيش أنذروا المسلمين بذلك، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، م5، ص128، 129.

[2] أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص223، 224. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص80. ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1996، ص161.

[3] المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889، ص253.

[4] الجومة: من نواحي حلب أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص189.

[5] القورس، أو قورص: كانت مسلحة لأنطاكية، وتدعى باسم قرية الشيخ خوروز في ذيل قلعة الشيخ خوروز في الغرب الشمالي من من كلز، فتحها عياض بن غنم، وكان سليمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة فنزل في حصن قورص فنسب إليه وعرف بحصن سليمان، أنظر: الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط2، حلب، (د، ت)، ج1، ص289.

[6] أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص41. الغزي، المرجع السابق، ج2، ص32.

[7] الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد، 1981، ص185.

[8] توفيق سلطان اليوزبكي، الثغور ودورها العسكري والحضاري، مجلة آداب الرافدين، العدد 11، 1 يوليو 1979، العراق، ص10، ص10، 11.

[9] لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص70.

المبحث الثاني: دواعي إنشاء الثغور

بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد انتصاره في معركة بدر على المشركين وإجلاء بني قينقاع عن المدينة. كان يدرك أن أعداء الدولة الإسلامية الجديدة ينتهزون الفرصة المناسبة للهجوم المعاكس عليها، لذلك وجب عليه اتخاذ نظامًا دفاعيًا عن طريق الهجوم، فكانت سلسلة من الغزوات المتلاحقة على المشركين بعد معركة بدر[1].

وفي عهد الخلفاء الراشدين توجه المسلمون بغزواتهم إلى الخارج وقصدت بذلك فارس وبلاد الروم نظرًا لما تعرضت له الدولتان من انهيار في مختلف العوامل وما يحمله سكان هذه المناطق من تسامح للمسلمين، كل ذلك حقق نصر المسلمين على البيزنطيين وأوقع الدولة الفارسية تحت ضرباتهم[2].

وما أن أتم المسلمون فتوحاتهم في شمال الشام والجزيرة حتى تجلت لهم أهمية تأمين تلك الفتوحات بالسيطرة على منطقة الدروب وهو الشيء الذي كان يتخوف منه هرقل بشدة بعد خروجه من أنطاكية إلى القسطنطينية، ذلك بعد أن علم بفتح المسلمين لأنطاكية صلحًا وقتل من فيها من المقاتلين[3].

وبعد مشاورات طويلة بشأن اجتياز منطقة الدروب اتفق المسلمون وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح بإرسال جيش مهمته فتح منطقة الدروب ونقل أخبار وأوضاع البلاد ليسير المسلمون على حسب ما نقله هذا الجيش[4].

---

[1] الواقدي، المغازي، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط3، بيروت، 1989، ص179.

[2] الباز العريني، الدولة البيزنطية، 323-1081هـ، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت)، ص135.

[3] أنظر: الواقدي، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ج2، ص5. علية عبد السميع الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص28.

[4] الجنزوري، المرجع نفسه، ص29.

وضمن هذا الإطار وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظامًا دقيقا لاستكمال الحرب مع الروم، حيث قسم الأرزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام سنة 17هـ/639م[1]، وبناءً على هذا أرسل أبو عبيدة بن الجراح أول صائفة إلى بلاد الروم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

وقد حرص المسلمون كذلك على المرابطة على الحدود فكان للثغور أهمية استراتيجية كبرى في حياتهم لأنها كانت تمثل خطوط الدفاع الأولى على الحدود الإسلامية يمكن من خلالها صد هجمات الأعداء وحماية أراضي الدولة من الغزو والعدوان[3].

كما كانت الحدود بين المسلمين والروم تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية ويحميها خط طويل من القلاع أو ما يعرف بالثغور، يمتد من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر الشامي (بحر الروم أو المتوسط) وحاول المسلمون والبيزنطيون السيطرة على تلك الحصون والممرات للدفاع عن أرضهم وللهجوم على الطرف الآخر[4].

وفي عهد الأمويين لم تنقطع غارات المسلمين في بلاد الروم إلا في فترات الفتن الداخلية حيث بدأت غزواتهم من عاصمة الروم المعروفة بالأناضول ووصلوا حتى أقدام جبال طوروس لتدمير القواعد والتحصينات البيزنطية، ثم تطورت هذه الإغارات تدريجيًا إلى حملات عسكرية واسعة النطاق أخذت في اجتياح أقاليم آسيا الصغرى حتى وصلت إلى حدود القسطنطينية وحاصرتها سنة 98هـ/717م[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط2، بيروت، (د، ت)، ج4، ص64.

[2] الجنزوري، الثغور البرية، ص29.

[3] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، 253.

[4] كي ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، تح: بشير فرنسيس وكروكيس فؤاد، مؤسسة الرسالة، الكويت، (د، ت)، ص160.

[5] علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة الأموية دولة الفتوحات، 41-321هـ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1992،ص21.

وفي عام 132هـ/749م، تبوأ العباسيون حكم الدولة الإسلامية بعد الأمويين، وقاموا بتغيير سياسة دولتهم داخليًا وخارجيًا، حيث تميزت العلاقات أو الصلات الدبلوماسية للخلافة العباسية مع أبرز القوى المعاصرة لها ونذكر منها خاصة الدولة البيزنطية بأنها علاقة دفاعية أكثر منها هجومية، حيث استهدفت إحاطة الدولة بسلسلة من القلاع والتحصينات لحمايتها[1].

[1] أحمد تونى عبد اللطيف، العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية، 132-232هـ، مركز الإسكندرية للكتاب، (د، م)، 2004، ص80.

المبحث الثالث: تقسيمات الثغور في العصر العباسي الأول

بعد أن بينا فيما سبق معنى الثغور، سنقوم في هذا المبحث بذكر أبرز هذه الثغور وتقسيماتها، مع العلم أننا سنخص بالذكر الثغور البرية باعتبارها المنطقة التي جرى فيها الصراع الإسلامي _ البيزنطي والذي هو موضوع مذكرتنا.

وقد قسمت الثغور في العصر العباسي الأول على حسب طبيعتها الجغرافية إلى قسمين بحرية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهر البحر، وبرية تلقاه وتواجهه من جهة البر حيث اتفق المؤرخون والجغرافيون على أن الثغور البحرية في معظمها شامية، لإشراف الشام بسواحله على البحر الشامي (المتوسط) وتتمثل هذه الثغور في: اللاذقية، طرطوس، جبلة بيروت، صور، جبيل، عكا، يافا وغزة[1].

أما الثغور البرية فقد تعددت تقسيماتهم لها وتنوعت فمنهم من جعلها شامية فقط ومنهم من قسمها إلى قسمين شامية وجزرية، في حين هناك من جعلها ثلاثة أقسام شامية وجزرية وبكرية[2]، ووفقاً لما سبق فإننا نرى أن يتم تقسيم الثغور على النحو التالي:

- الثغور البرية الشامية
- الثغور البرية الجزرية
- الثغور البحرية

أولا: الثغور البرية الشامية.

والتي تقع في الشق الشمالي الغربي لإقليم الثغور، الفاصل بين بلدي الشام والروم تتمثل في: طرسوس، أذنة، المصيصة، عين زربة، الكنيسة السوداء، الهارونية وبالس، حيث كانت

---

[1] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص188.

[2] الجنزوري، الثغور البرية، ص16.

مهمتها دفاعية هجومية، لأنها خصصت للدفاع عن بلاد الشام من ناحية، ولشن الهجمات الرئيسية نحو بلاد الروم بشكل عام وبيزنطة بشكل خاص[1]، وفيما يلي سنقوم بتعريف بتلك الثغور.

1- طرسوس:

وهي مدينة بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم[2] مشرفة على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر جبال طوروس المعروفة بالأبواب القليقية، بينها وبين الروم جبال متشعبة من اللكام[3] علما أن أهل هذه المدينة قوم من كندة[4]، فتحها المسلمون في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة 53هـ/672م[5] على يد جنادة بن أبي أمية الأزدي[6].

وتم تحديثها في عهد هارون الرشيد في منتصف سنة 190هـ/805م[7]، ذكر الحميري[8] أنها أنها كانت محاطة بسورين وخندق، ولها خمسة أبواب وهي: باب الجهاد، وهو الباب الذي يخرج منه إلى المرج الذي يعسكر فيه أمراء الطوائف، باب الصفصاف، وبين هذين البابين مدخل النهر الأعظم، وباب الشام ومنه يدخل زقاق أذنة والمصيصة والشام وباب البحر، وعنده مخرج النهر ومصبه في البحر، وباب يعرف بالباب المسدود ولم يفتح قط. وعلى النهر داخل المدينة قنطرتان عظيمتان اكتمل بناءهما سنة 172هـ/788م، سكنها المرابطون والمجاهدون.

كما وصفت طرسوس بأنها مدينة ذات أسواق عامرة تشرف على ضفة البحر، بها الكثير من الأشجار المختلفة مثل: شجرة الزيتون والكروم والبرتقال والليمون وغيرها من الأشجار[9].

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، ط2، بيروت، 1938، ج1، ص165.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص28.

[3] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص164.

[4] اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، (د، ت)، ص162.

[5] اليعقوبي، تاريخه، منشورات المكتبة الحيدرية، 1964، النجف، ج2، ص228.

[6] جنادة بن أبي أمية الأزدي: قائد بحري من كبار الغزاة في العصر الأموي، كان قائد غزوات البحر أيام معاوية كلها، وهو ممن شهد فتح مصر، دخل جزيرة رودوس فاتحًا سنة 53هـ-673 م، توفي بالشام في سنة الثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان، أنظر: الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، (د، م)، 2002، ج2، ص140.

[7] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص28.

[8] الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت، 1975، ص388.

[9] محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، ط2، بيروت، (د، ت)، ج4، ص179.

2- أذنة:

هي مدينة بالشام تقع على نهر سيحان في غربي النهر، توجد بالقرب منها قنطرة حجرية تعلو النهر ترجع لأيام جستنيان[1]، بنيت على يد مسلمة بن يحي البجلي، بأمر من صالح بن علي علي سنة 44هـ/761م، وقيل سنة 141هـ/760م أو 142هـ/759م، شحنت بالجنود من أهل خراسان مع مسلمة بن يحي البجلي، ومن أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلي، حيث كان قد وجههما صالح بن علي إليها[2].

أهلها عبارة عن خليط من موالي وغيرهم[3]، حيث قال أحمد بن يحي بن جابر أن أذنة بنيت بنيت سنة إحدى واثنين وأربعين ومائة، وجنود خراسان معسكرين عليها بأمر من صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، كما أن لأذنة ثلاثة أبواب وسور وخندق[4]، ثم أعيد بناؤها سنة 194هـ/810م على يد أبو سليم فرج الخادم صاحب أنطاكية فحصنها وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم، وذلك بأمر من الخليفة محمد الأمين بن الرشيد، فرم قصر سيحان الذي بني سنة 165هـ/782م في عهد المهدي[5]، ووصفت بأنها ذات موقع استراتيجي، حيث يجتمع عندها نهر سيحان وجيحان فيصبحان نهراً واحداً، ثم يصبان في بحر الروم بالقرب من طرسوس[6].

المصيصة:

من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، قام بتعميرها المصيصة بن الروم بن اليفز ابن سام ابن نوح ولهذا سميت باسمه[7] وهي عبارة عن شقين المصيصة وكفربيا يفصلهما نهر جيحان[8]، تعرضت للغزو سنة 84هـ/703م من طرف القائد الأموي عبد الله بن عبد الملك بن مروان، الذي

---

[1] الجنزوري، الثغور البرية، ص63.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص168.

[3] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص20.

[4] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص133.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص169.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، مصر، 1997، ج1، ص61.

[7] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص144.

[8] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ت)، ج1، ص95.

دخل من درب أنطاكية حتى وصل المصيصة فقام ببناء حصنها على أساسه القديم، وبنى كذلك مسجدًا فوق تل ذلك الحصن، وبذلك أتم بناء المصيصة بعدما شحنها بالسكان سنة 85هـ/704م[1]، إلا أنها خربت بعد ذلك لأنها كانت مجاورة لبلاد العدو[2].

وفي العصر العباسي الأول أعيد تعميرها وأسكن الناس بها وسميت بالمعمورة[3] بالإضافة إلى أنها كانت تسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت على جانبي النهر، وصف أهلها بأنهم فتيان فرسان شجعان، وهي مدينة مشهورة بصناعة الفراء ويطلق عليها الفراء المصيصية الشهيرة وغالية الثمن[4].

3- عين زربة:

يعتقد أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى مأواها المتمثل في زرب الغنم، وهي عبارة عن بلدة بمنطقة الثغور من نواحي المصيصة[5] تبعد عنها بمسير يوم فقط، وتقع على سفح جبل مشرف عليها[6]، بنيت في العصر العباسي الأول، حيث جدد أبو سليمان التركي الخادم عمارتها في حدود سنة 190هـ/806م والذي كان قد ولي الثغور من قبل الرشيد، إلا أن الروم بعد أن استولت عليها قامت بتخريبها فأنفق سيف الدولة بن حمدان ثلاثة ملايين درهم من أجل إعادة تعميرها[7]، وقد وصفت عين زربة بأنها مثل مدن الغور نتيجة لكثرة النخيل والخصب والسعة والثمار والزرع، كما كانت حسنة الداخل والخارج، نزهة من داخل سورها جليلة في جميع أمورها[8].

---

[1] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص307.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص159.

[3] قدامة، المصدر السابق، ص308.

[4] الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، المسالك والممالك، جمعه تيسير الخلف، (د، م)، 2006، ص104.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص177.

[6] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص229.

[7] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص177.

[8] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر،(د، م)، (د، ت)، ج1، ص167.

4- الكنيسة السوداء:

وهي بلد ثغر المصيصة، سميت بالسوداء لأنها بنيت بالحجارة السوداء[1]، وأطلق عليها أيضا اسم الكنيسة المحترقة، وذلك لأنها تعرضت لإحدى غارات الروم فأحرقتها وحالها في العمارة والخراب كحال بقية مدن الثغور، وذكر ابن العديم[2] بأنها ثغر في معزل عن شاطئ البحر.

يعود الفضل في بنائها إلى البيزنطيين، وكان لها حصن قديم أخرب فيما أخرب، فأمر الرشيد ببناء المدينة وتحصينها، وتزويدها بالمقاتلة من أجل حمايتها، إلا أنها تعرضت لإحدى غارات الروم سنة 189هـ/805م[3].

5- الهارونية:

وهي مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية، في طرف جبل اللكام[4]، سميت بالهارونية نسبة إلى الخليفة هارون الرشيد الذي بدأ بناءها في عهد أبيه المهدي سنة 183هـ/799م، وأكملها في عهده وشحنها بالمقاتلة والمتطوعين[5].

وقد وصفت هذه المدينة بأنها محاطة بسورين، وأبواب حديدية[6] وأنها في غاية العمارة، وأهلها يمتازون بحب الجهاد والغزو، امتلكتها الروم أكثر من مرة حيث خربتها من قبل، وأعاد عمارتها سيف الدولة بن حمدان[7].

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص485.

[2] بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص173.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص178.

[4] البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، ط1، بيروت، 1992، ج3، ص1448.

[5] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص219.

[6] البغدادي، المصدر السابق، ج3، ص1448.

[7] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص182.

6- بالس:

هي بلدة في الشام تقع بين حلب والرقة، وهي على ضفة الفرات من الجانب الغربي[1] سميت ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام[2]، ويقول البلاذري[3] في كتابه أن بالس فتحت فتحت على يد أبو عبيدة، حيث نزل إلى عراجين، ثم تقدم إلى بالس، حيث كانت هذه الأخيرة وقاصرين لأخوين من أشراف الروم، فأقطعا القرى التي بالقرب منها، وجعلا حافظين على ما بينهما من مدن الروم، ثم صالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فخرج الكثير منهم إلى بلاد الروم وسكن بالس قوم من العرب والبوادي.

وعندما توجه مسلمة بن عبد الملك غازيا بلاد الروم، عسكر ببالس فطلب منه أهل بويلس وقاصرين وعابدين وهي قرى تابعة إليها، أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان، وهنا حفر النهر المسمى بنهر مسلمة، ووفوا له بالشرط، وقام بترميم سور المدينة، وبعد وفاة مسلمة أصبحت بالس لورثته وبقيت كذلك إلى أن جاءت الدولة العباسية[4].

ثانيا: الثغور الجزرية.

خصصت هذه الثغور لحماية بلاد الشام وشمال العراق وتضم كيسوم، حصن منصور، سميسياط، شمشياط، وثغر ملطية ومرعش وزبطرة والحدث[5].

1- كيسوم:

بالسين المهملة، وهو الكثير من الحشيش، يقال "روضة أكسوم ويكسوم" وهي عبارة عن مدينة مستطيلة من أعمال سمسياط تحتوي على سوق ودكاكين وافرة[6] وفيها حصن كبير على

[1] القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ص306.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص328.

[3] فتوح البلدان، ص152.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص328.

[5] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص186، 187.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص497.

قلعة[1]، وقد وصفها ابن العديم[2] بأنها مدينة قديمة كبيرة، وولاية واسعة عظيمة، بناءها قوي، وحصنها منيع إلا أنه خرب في عهد المأمون وبقيت المدينة دون تخريب، وهي على بعد ثمانية وثلاثون كيلومتر ونصف عن الحدث.

حيث كان ثغر كيسوم يستخدم في بعض المرات كمقر للجيوش الأرمينية المتوجهة لغزو الروم، كما حدث عندما أقام به المأمون حوالي سنة 216هـ/831م يومين أو ثلاثة بعد عودته من حرب الروم ثم رحل إلى دمشق[3]، إلا أن البيزنطيين عاودوا الهجوم عليها مرة أخرى سنة 288هـ/900م، ونهبوا وسلبوا أهلها وأخذوا عددًا كبيرًا من الأسرى قدر في بعض المصادر بخمسة آلاف رجل وامرأة وصبي[4].

2- حصن منصور:

من أعمال ديار مضر[5]، يقع في غربي الفرات قرب سمسياط وهو مدينة محصنة بسور وخندق وثلاثة أبواب وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران[6].

وصفها الإدريسي[7] بأنها مدينة حسنة مشهورة ولها قرى تمتلك أراضي خصبة كثيرة، وتبعد وتبعد عن سمسياط بسبعة وثلاثون كيلومتر وثمانية أمتار، أما عن ملطية فتبعد بحوالي أربعة وخمسون كيلومتر.

سمي بهذا الاسم نسبة إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامري لأنه هو من أشرف على بنائه، وأقام به في عهد مروان بن محمد لمواجهة العدو، وكان برفقته جند كثيف من أهل الشام

---

[1] البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1192.

[2] بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص265.

[3] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص625. الجنزوري، الثغور البرية، ص109.

[4] الجنزوري، المرجع نفسه، ص110.

[5] البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص407.

[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص265.

[7] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج2، ص651.

والجزيرة، وفي أول أيام الدولة العباسية فتحه أبو جعفر المنصور، وهو عامل أخيه السفاح على الجزيرة وأرمينية[1].

3- سمسياط[2]:

بضم أوله وفتح ثانيه، وبعده ياء ساكنة ثم سين وطاء مهملتان، وهي مدينة على شاطئ الفرات الغربي وتقع بين الجزيرة والشام[3]. كان يسكنها الأرمن ونظرًا لموقعها في شرقي جبل اللكام فكان يحتف بها جبال كثيرة غنية بالثمار المتنوعة كالجوز والكروم[4].

فتحت سمسياط صلحًا بأمر من عياض بن غنم حيث وجه إليها صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة الفهري اللذان غلبا على حصونها، فصالحهم أهلها مثل صلح الرها وأصبحت المدينة عبارة عن قاعدة لهم في غزوتهم لبلاد الرها وطريق لحملات الصوائف[5].

4-شمشياط:

بكسر أوله وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى وآخره طاء مهملة، وهي مدينة بالروم تقع على شاطئ الفرات في طرف أرمينية، سميت شمشياط بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام لأنه أول من أحدثها[6]، وهي من أعمال خرت برت غير سمسياط التي ذكرت من عمل الشام[7]، وذكر الحميري[8] أن شمشياط مدينة رومية كبيرة على تخوم أرمينية الجنوبية تخرج منها جيوش المسلمين إلى بلاد الروم، وتضم المدينة قلعة حصنية وتحيط بها الجبال المليئة بالأشجار، وأما عن فتحها فيقال أنه تم في عهد معاوية رضي الله عنه حيث جمع عثمان بن عفان الشام والجزيرة وثغورهما

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص265، 266.

[2] تقع سمسياط حاليا في الأراضي التركية والمدنية لا زالت تحتفظ بحصون أثرية باقية من حقبة الصراع الإسلامي البيزنطي، أنظر: العفيفي عبد الحكيم، موسوعة 1000 مدنية إسلامية، ص287.

[3] البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، عالم الكتاب، بيروت، (د، ت)، ج3، ص757.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص651.

[5] أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص182. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص313.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص362.

[7] البغدادي، مراصد الاطلاع ،ج2، ص811.

[8] الروض المعطار في خبر الأقطار، ص345.

وأمره معاوية بغزو شمشياط، فوجه إليها حبيب بن مسلمة الفهري وصفوان بن المعطل ففتحاها صلحًا بعد أيام من نزولهما عليها.

5- ملطية:

بفتح أوله وثانيه، بعده طاء مهملة ساكنة وياء مخففة، وهي بلدة من بلاد الروم مشهورة بتتاخم الشام[1]. ومدينة ملطية من بناء الإسكندر، وفتحها المسلمون في عهد معاوية على يد حبيب بن مسلمة[2]، وعمرت في العصر العباسي الأول وبالتحديد في عهد أبي جعفر المنصور سنة 140هـ/757م[3]. وصفها ابن حوقل[4] بأنها مدينة كبيرة من أجل الثغور وأشهرها وأكثرها سلاحًا ورجالاً كان يسكنها الأرمن، أما ابن العديم[5] فقد وصفها بأنها مدينة كبيرة ومستوية ومحصنة تحتف بها الجبال من كل جانب، واشتهر إقليمها بالرخاء ووفرة المياه والأشجار والثمار خاصة الجوز.

6- مرعش:

بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده عين مهملة مفتوحة، وشين معجمة، وهو ثغر من ثغور أرمينية[6]، تقع بين الشام وبلاد الروم[7]، أما عن تحصينها فهي مدينة عامرة صغيرة لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يسمى المرواني، نسبة لمن بناه مروان بن محمد الخليفة الأموي[8]، يمر بها نهر يسمى البردان مخرجه من جبل مرعش يسقي بساتينها وضياعها[9]، فتحت

[1] أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص192. البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص1256.
[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص193.
[3] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص319.
[4] صورة الأرض، ج1، ص166.
[5] بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص252.
[6] البكري، المصدر السابق، ج4، ص1215.
[7] البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1259.
[8] أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص107. البغدادي، المصدر السابق، ج3، ص1259.
[9] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، (د، م)، 1994، ج7، ص424.

على يد خالد بن الوليد وحصنها وعمرها بالناس وبنى لهم مسجداً، وفي عهد مروان أغارت عليها الروم فحاصرتها وخربتها ثم أعاد مروان بناءها[1]، وأحدثها بعده الرشيد[2].

7- زبطرة:

بكسر أوله، وفتح ثانيه، وسكون الطاء، وراء مهملة، وهي مدينة بين ملطية وسمسياط والحدث، في طريق بلاد الروم[3]، سميت بزبطرة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام[4]، السلام[4]، وهي ثغر من الثغور الجزرية تبعد عن ملطية بحوالي اثنين وعشرين كيلو متراً وزبطرة عبارة عن حصن منيع من بناء الروم[5]، فتحت على يد حبيب بن مسلمة، وكان هذا الحصن أقرب أقرب الثغور الإسلامية إلى بلاد الروم، حيث تعرضت للعديد من غارات الروم وخربت أكثر من مرة مثل ما حدث في خلافة الوليد بن يزيد، وخلال فتنة مروان بن محمد ثم بناه المنصور وأعادت الروم هدمه مرة أخرى في خلافة الرشيد الذي بناه وشحنه ثم أتم المأمون تحصينه[6].

7- الحدث:

بفتح أوله وثانيه وبالثاء المثلثة، موقعه بالقرب من مرعش وهو ثغر من الثغور الجزرية[7]، وهو عبارة عن قلعة حصينة يقع بين ملطية وشمشياط ومرعش، وقلعته على جبال يقال لها الأحيدب، وأطلق عليها اسم الحمراء لأن جميع تربتها حمراء، ويبعد الحدث عن ملطية بحوالي واحد وعشرين كيلو متراً ونصف[8]، ونظراً لموقعها البعيد عن بلاد الروم كانت المدينة أقل الثغور تعرضا لغارات العدو[9].

---

1 الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص541.

2 البغدادي، مراصد الإطلاع، ج3، ص1259.

3 نفسه، ج2، ص657.

4 ياقوت الحموي، معجم البلدان، م3، ص131.

5 الحميري، المصدر السابق، ص285.

6 الجنزوري، الثغور البرية، ص100، 101.

7 البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص429.

8 البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص385.

9 خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، (د، ت)، ص439.

ويقول صاحب كتاب معجم البلدان[1]، أن بني أمية كانوا يسمون درب الحدث بدرب السلامة السلامة فهناك من يرى بأنه سمي كذلك لأن المسلمين أصيبوا في هذه المدينة وكان ذلك الحدث الذي سمي به الحدث، فيما يرى البعض الأخر أن المسلمين لقوا بدرب الحدث غلامًا حدثًا قاتلهم في أصحابه فسمي عليه درب الحدث.

فتحها المسلمون مع حصنها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد حبيب بن مسلمة الفهري، وتعهد حصنها بعد ذلك معاوية بن أبي سفيان، وأعيد بناؤها في خلافة المهدي بأمر من علي بن سليمان والي الجزيرة وقنسرين، وتوفي المهدي قبل فراغهم من بنائها فسميت بعد ذلك بالمهدية و المحمدية[2].

---

[1] ياقوت الحموي، م2، ص227.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص198.

المبحث الرابع: جغرافية الثغور

لو ذهبنا إلى القول بأن الدول دائما تتخذ تخومًا تفصل بينها وبين الدول المجاورة لها، فإننا نستطيع تبيين أن هناك ظروفًا طبيعية تلائم هذا الغرض تمامًا، فكل من المحيطات والصحاري والسلاسل الجبلية، والغابات تعد خير أنواع التخوم الفاصلة لأنها عبارة عن مجموعة من الصعويات المعرقلة لحركة انتقال الإنسان، كما أنها لا تحوي عددًا كبيرا من السكان[1]، وفي أيام بني أمية وبني العباس كانت الحدود التي بين بلاد المسلمين والروم تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus،[2] وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع أي الثغور، والذي يمتد من ملطية إلى الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من بحر الروم وقد كانت هذه القلاع تحتل من طرف الروم تارة ومن طرف المسلمين تارة أخرى[3]، حيث قسمت المنطقة الفاصلة بين البيزنطيين والمسلمين إلى ثلاث مناطق هامة والمتمثلة في:

1- المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية:

والتي تعد من أهم معالمها الجغرافية قاليقية والمجرى الأعلى لنهر الفرات أو النهر الأسود Oara Su،[4] والإقليم الذي بين الفرات وأرسناس أو نهر مراد Murad Su، ثم بعد ذلك الإقليم الواقع غرب الفرات ثم الثغور البكرية.

2- المنطقة الوسطى:

وتشمل هذه المنطقة كل من إقليم ملطية ونهر القبقاب، والضفة اليمنى لنهر الفرات من ملطية إلى النهر الأزرق والثغور الجزرية التي بين ملطية ومرعش والمجرى الأعلى لكل من نهر جيحان وسيحان وكابدوكيا وقيصرية[5].

[1] صونية بن سخرية، الثغور البرية الإسلامية دورها الحربي وأثره، ص45.

[2] الجنوزي، الثغور البرية، ص15، 16.

[3] كي لسيترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص160.

[4] Victor chapot, la frontière de l'Euphrate de pompée à la conquête arabe, Paris, 1907, p219

[5] الجنزوري، المرجع السابق، ص19.

3- المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية:

أبرز أجزاء هذه المنطقة إقليم الفرات الواقع بين النهر الأزرق والثغور الشامية، إقليم طوروس وممراته، إقليم جيحان الأوسط وقليقية وممرات طوروس القليقية وبوابات قليقية إلى قيصرية[1].

حيث قام شابو[2] بتوضيح أكثر لصورة المنطقتين الأوليتين فذكر أن منابع نهر الفرات موجودة في أرمينية وحدود الشام ويبدأ عند سفوح جبل نمرود في منطقة معزولة شمال الممر العظيم من الشرق للغرب، والطريق الحربي الذي بين الروم والفرس، حيث تقع أرمينية الصغرى غرب الفرات الأعلى وتمتد على ضفته الشمالية، وتعد الزاوية المتوسطة التي تخطط النهر بين سمسياط وملطية نقطة إلتقاء بلاد الشام وأرمينية الصغرى، أما ملطية فهي محاطة بمجموعة من الأنهار، فمن غربها نهر القبقاب ومن جنوبها الفرات، ومن شرقها المجريين ومن شمالها النهر الأسود.

وباعتبار جبال طوروس بسلسلتيها الفاصل الطبيعي لكل من بلدي المسلمين والروم، فإن الجغرافيين العرب قد ركزوا الحديث عن جبل اللكام الذي يفصل بين الثغور الشامية والجزرية[3] وقد اختلفوا في تسمية هذا الجبل فعامة الترك يدعونه "كاروطاغي" جبل الكفرة، والافرنج أمانوس Amanous، أما حكومتهم فقد دعته بجبل البركات، وذكرته بعض التواريخ العربية باسم الجبل الأسود.

---

[1] الجنزوري، الثغور البرية، ص19.

[2] La frontière de l'Euphrate de pompée à la conquête arabe, p222.

[3] انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص11 وفضل الكلام عن هذا الجبل فذكر أنه يجيء من الحرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل، وماكان بالأردن فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان، ويتصل بأنطاكية والمصيصة فيسمى هناك اللكام، ثم يمتد إلى ملطية وسمسياط وقاليقية إلى بحر الخزر فيسمى هناك القبق، أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص56. ابن حوقل، صوة الأرض، ص168.

وقد اعتبر معظم الجغرافيين سلسلة اللكام الحد الفاصل بين الشام والأناضول حيث تمتاز هذه السلسلة بأودية ومنحدرات صعبة ومرابع عالية صالحة للاصطياف والرعي لجودة هوائها وغزارة مياهها وكثرت ثمارها[1].

ولو تتبعنا هذه السلسلة من الفرات حتى حدود قليقية فنظرنا سيقع أولا على ملطية، حيث يتميز الطريق من ملطية إلى مرعش عبر طوروس بحصون زبطرة والحدث ثم مرعش وعين زربة وبين هذين الموقعين الآخرين في إقليم التلال في جيحان الأعلى كان يوجد موقع حصن الكنيسة والهارونية[2]، كما يشتهر في هذا الجزء ممر الحدث أو كوردخاي والذي يعتبر أحد الممرين الهامين في جبال طوروس، وكان يحمي هذا الدرب حصن الحدث[3] وقليقية مجاورة لبلاد الشام، حتى أن بعض الجغرافيين يعدونها جزءً من الشام، فقد أوصلوا حدها الغربي إلى جبال طوروس ومن الشمال طوروس الداخلية، ومن الشرق جبل اللكام ومن الجنوب بحر الروم، ويوجد فيها سهل شاسع شديد الانخفاض سماه الأتراك بـ: "جقوراووه" وسماه العرب مرج الديباج أو مرج المصيصة وهو يعد من أخصب السهول وأعظمها إنتاجًا[4].

حيث توجد أهم الثغور الشامية في سهل قليقية منطقة مجرى نهر جيحان وسيحان النابعان من بلاد الروم والمصبات في بحر الشام[5].

وهذا السهل محاط بجبال طوروس القليقية وطوروس الداخلية وجبال الأمانوس، وبانقطاع طوروس الداخلية تصبح سلسلة منفصلة بواسطة مجرى نهر جيحان، ويمتد جبل المصيصة أو جبل النور على الضفة الغربية لخليج الإسكندرية إلى الشرق من نهر جيحان القريب من البحر،

---

[1] أحمد وصفي زكريا، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، دار الفكر، ط2، دمشق، 1984، ص42.

[2] J-B-Bury, Ahistony of The easterm Roman Empire (London Macmillan and co 912), p224.

[3] Ibib. p225.

[4] أحمد وصفي زكريا، المرجع السابق، ص30، 31.

[5] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص163، 164 ويذكر أن المسلمين أطلقوا على نهري سارس وبيرامس اسم نهر سيحان وجيحان، وكانا في صدر الإسلام حدا مائيا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم، وقد سمى البلدانيون العرب بيرامس وسارس باسم جيحان وسيحان، ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال أرمينية الصغرى.

ومن المصيصة حتى مصب جيحان نحو 25.7 كلم[2] يمتد الريف المزدهر العامر بالسكان والنشاط التجاري[1]، وبالمسير من المصيصة على طول جيحان كان يوجد مرج الديباج والذي هو عبارة عن منطقة خصبة، وبالنسبة لأذنة فهي تقع على الضفة اليمنى لنهر سيحان، أي غربي النهر الذي يصب في بحر الروم إلى الغرب من جيحان[2].

أما نهر البردان الذي عرفه العرب هو نسفه سيدنوس القديم[3] وقد أخذ هذا الاسم نسبة لمائه البارد، كان ينبع هذا الأخير من جبل بلغار Bulgar Su، وكان يصب في بحر الروم على مسافة قليلة من سيحان وقريب جدا من طوروس القليقية، حيث كانت الأراضي الإسلامية تنتهي عند نهر اللامس Lamus Su الذي يعين الحدود الفاصلة[4].

ومن هنا يمكننا استخلاص جغرافية الجزء الساحلي من قليقية بأنها تروية مجموعة من الأنهار الصغيرة والمتمثلة في سيحان وجيحان وبردان وهي أنهار طرسوس والمصيصة وأذنة، وهذه السهول تنقسم إلى قسمين: السهل الأدنى أو الغربي الذي يسمى قليقية السفلى يمتد من سفوح جبال طوروس حتى البحر، ومن أهم مدنه طرسوس وأذنة، أما السهول الشرقية أو العليا فيفصلها عن السهول الغربية مرتفعات تعرف بجبل النور، وأشهر مدن هذا الجزء المصيصة وعين زربة وسيس[5].

كما تنقسم طوروس القليقية إلى ثلاثة مجموعات: المجموعة الغربية والمتمثلة في السلسلة Dumbelek، والمجموعة الوسطى المتمثلة في مرتفعات جبل بلغار، أما المجموعة الشمالية فهي تمثل منطقة صعبة شديدة الانحدار، على يسار نهر Korkum Su، علما أن سلسلة طوروس القليقية على مسافة من الجنوب إلى الشمال حوالي 300 كلم، تتكون من كتلتين شمالية وساحلية

[1] الجنزوري، الثغور البرية، ص22.

[2] أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص183. الجنزوري، المرجع السابق، ص22.

[3] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص165، سمي أيضا بنهر بردي ونهر الغضبان، مخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالأقرع، ويصب في بحر الروم، غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان.

[4] الجنزوري، المرجع السابق، ص22، 23.

[5] صونية بن سخرية، الثغور البرية الإسلامية ودورها الحربي وأثره، ص49.

تفصلهما منخفضات ومضايق عميقة صعبة العبور والاختراق، بعكس الكتلة الشمالية التي هي سهلة العبور نتيجة لسهولة وديانها وأنهارها[1] وبين الكتلتين يوجد منخفض يكونه المجرى الأعلى لنهر Korkum Su وعدد من البرك والمستنقعات.

أما طريق الأبواب القليقية نجده يخرج من طرسوس متجها إلى الشمال حتى يبلغ طوروس الشمالية فيلتحم بشعابها ومضايقها ويصل إلى درب البوابات ويستمر هكذا[2]، كما يعد ممر البوابات القليقية ثاني أهم الممرات في جبال طوروس بل هو الأهم بالنسبة لحركات الجهاد في الثغور ضد الروم، أطلق عليه العرب اسم درب السلامة[3] الضارب شمالا من طرسوس ومنه يأخذ الطريق العام إلى القسطنطينية، علما أن هذا الطريق كان يسلكه سعاة البريد ويمر منه وفد قيصر والخلفية، كما أنه الطريق الذي تتبعه ندبات الغزو العديدة بين المسلمين والنصارى[4].

ويشتهر هذا الممر بطوله الذي يبلغ 112 كلم من أعلى نقطة في هضبة آسيا الصغرى، جنوب الطوانة[5]، حيث السفوح الجنوبية لجبال طوروس في السهل القليقي، وقرب الطرف الشمالي للمر وبذلك تكشف الرؤية الواسعة عن كل من السهول الكبادوكية الجنوبية، وسفوح طوروس الشمالية وعلى هذا الارتفاع كانت تقع قلعة لؤلؤة والتي كانت بمثابة مفتاح لممر الأبواب القليقية، فعندما كانت في يد الروم كان يصعب على أي جيش إسلامي أن يغزو كبادوكيا، وبعد أن استولى عليها المسلمون أصبح صعب على أي جيش إمبراطوري أن يدخل الممر[6].

---

[1] الجنزوري، الثغور البرية، ص23.

[2] رستم أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط1، بيروت، 1955، ج1، ص294.

[3] أنظر: الجنزوري، المرجع السابق، ص24. رستم أسد، المرجع السابق، ج1، ص294، 295.

[4] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص166.

[5] الطوانة: مدينة ببلاد الروم على فم الدرب مما يلي طرسوس، وهي اسم موضع قسطنطينية قبل أن يبنيها قسطنطين لتصبح عاصمة للإمبراطورية البيزنطية، وكان معاوية رضي الله عنه أغزى سفيان بن عوف وأمره أن يبلغ الطوانة فأصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بأرض الروم، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص45.

[6] الجنزوري، المرجع السابق، ص24.

وكان كل من الطريق الشمالي إلى الطوانة والطريق الغربي إلى هرقلة يلتقيان بالقرب من لؤلؤة، التي كانت مشرفة على كليهما، حيث كان الطريق ينعطف أولا جهة الشرق ويعود يلف جنوبا حتى يصل إلى واد البدندن البيضاوي ويرتفع الطريق من البدندن خلال وديان صغيرة منعزلة عالية وضيقة حتى يصل قمة الطريق، تشرف عليه قلعة حصينة من الجانب الشرقي مبنية بالحجر الأسود عرفت باسم قلعة السلاف، تتمير هذه الأخيرة بوجود سهل صغير عليها يسمى Tckir، وطريق طويل هابطا طوله حوالي 4.8 كلم إلى الدرب الصخري المعروف باسم البوابات القليقية والذي يطلق اسمه على ممر بأكمله، وكان من الممكن السيطرة منه على أي جيش كبير بواسطة عدد قليل من الرجال ذوي العزيمة[1].

مع العلم أنه كانت توجد ممرات كثيرة تقطع جبال طوروس، قام المسلمون بسلك اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم، وهما درب الحدث والذي يحميه حصن الحدث ودرب الأبواب القليقية[2].

وخير وصف لجغرافية الدروب، أنها بلاد شديدة البرودة خاصة في منطقة الثغور، والدليل على ذلك أن في سنة 75هـ/791م أصابهم برد قطع أيديهم وأرجلهم، رغم أنها كانت صائفة[3].

وفي سنة 266هـ/789م خرج المسلمون لملاقاة الروم في برد ووقت لا يمكن للناس فيه دخول الدروب[4]، بالإضافة إلى أن الثغور كانت تتعرض في بعض الأحيان إلى الزلازل المدمرة كما حدث حدث في سنوات 187هـ/803م و245هـ/859[5].

[1] الجنزوري، الثغور البرية، ص25.

[2] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص165، 166.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص241.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1997، ج6، ص371.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص193، 346.

الفصل الثاني: التنظيمات العسكرية ودورها في حماية الثغور

المبحث الأول: علاقة الدولة العباسية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الأول

المبحث الثاني: اهتمام الخلفاء العباسيين بالثغور

المبحث الثالث: قيادة الحملات العسكرية ضد الروم

المبحث الرابع: إرسال حملات الصوائف والشواتي

المبحث الأول: علاقة الدولة العباسية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الأول

من أهم العلاقات التي عاشتها الدولة العباسية خلال عصرها الأول هي علاقاتها مع الروم، لأن هذه الأخيرة قد أخذت من الوقت والجهد والمال، ومن دمائهم أكثر بكثير مما أخذت أي جبهة أخرى[1].

فبعد أن استلم العباسيين السلطة سنة 132هـ/749م تغيرت خطة الحرب بين الطرفين، فقد قامت بيزنطة بسحب جيوشها فأصبحت حروبها مع المسلمين عبارة عن غارات غير منظمة كانت غايتها الهدم والتخريب[2]، وذلك بسبب انشغالهم بأعدائهم البلغار، الذين هددوا الحدود البيزنطية نتيجة قربهم من العاصمة، حيث واجه الأباطرة الذين تلوا ليو الثالث هذا التهديد بمزيد من التحصينات تبعها شن الإمبراطور قسطنطين الخامس تسع حملات متتالية ضدهم، واستمرت هذه الحروب من عام 138-147هـ/746-755م حتى عقدت هدنة بين الطرفين، ليتم نقضها لتعود للظهور مجددا، وقد استهلكت جانبا كبيرا من فترة حكم الأسرة الأيسورية ومن جاء بعدها[3].

ونتيجة لاضطراب الأوضاع الداخلية الناجمة عن سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، أدى إلى تغير سياسة العباسيين اتجاه بيزنطة، وهذا ما دفعهم بنقل العاصمة إلى بغداد بعيدا عن الحدود البيزنطية، فعندما كانت دمشق عاصمة للخلافة كانت بيزنطة تشكو وبشكل دائم من هجمات المسلمين على أراضيها[4].

---

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1973، ج2، ص293.

[2] نفسه، ص 297.

[3] عمر يحيي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في عهد الأسرة الأيسورية 98-205هـ/717-820م، مجلة المؤرخ العربي، 2010، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ص14، https://www.4shared.com/postDownload/KncqO4jZce/_.html اطلع عليه بتاريخ 2018/05/28 على الساعة 22:00

[4] نفسه، ص 10.

وقد تغير الوضع في العهد العباسي، فانتهجوا سياسة الدفاع بينما عاد البيزنطيون إلى سياسة الهجوم، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، فبعد أن استرجعت الدولة العباسية مكانتها عاودت الهجوم على بيزنطة من جديد لاسترداد ما أخذ منها[1].

يعود اتباع العباسيين تلك السياسة تجاه البيزنطيين في بداية حكمهم لمناوأة أهالي بلاد الشام لهم لأنهم لازالوا على ولائهم للأمويين، اضافة لعدم اهتمامهم بإنشاء أسطول قوي يضاهي الأسطول الأموي، كما أن الخلافة العباسية كان عليها بذل الجهود للسيطرة على مساحتها ولتأمين حدودها، ولهذا التزمت الدفاع واهتمت بإنشاء الأنظمة الداخلية وتقوية الدولة، والإبقاء عليها أكثر من العمل على توسيع رقعتها[2].

فشهدت الروم تقلبات نتيجة للظروف المتقلبة في كل من العاصمتين بغداد والقسطنطينية، ومثال عن ذلك حركة المد والجزر الحربي، من خلال العمليات الحربية والغزوات التي حققها الخلفاء واحدًا بعد الآخر، في هذه الفترة عرف الجهاد العباسي ذروته ضد الروم خاصة ما بين خلافة المهدي وخلافة المعتصم 158-227هـ/785-842م.

أما فترة خلافة أبو جعفر المنصور 136-158هـ/754-785م فقد كانت عبارة عن فترة توطيد لأنها لم تشهد أعمالاً حربية واسعة، كما دب الوهن في القوى العباسية في عهد كل من الواثق والمتوكل 227-247هـ/842-861م، وكانت آخر التألقات الجهادية على تلك الجبهة أعمال المعتصم 218-227هـ/833-842م[3].

بالإضافة إلى أن علاقات الدولة العباسية والبيزنطية قد تأثرت نتيجة لتعاقب الخلفاء والأباطرة المختلفين على عرشي الدولتين، إلا أنه كان تأثيرًا محدودًا، ويمكن وصف هذه العلاقات

---

[1] طه خضر عبيد، واقع البحرية العباسية في ثغور شرق البحر المتوسط 132-247هـ/749-861م، مجلة التربية والعلم، المجلد 18، العدد3، 2011، جامعة الموصل، العراق، ص109،112.

[2] عمر يحيي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية، ص14.

[3] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص300.

بأنها كانت علاقات عدائية دومًا، من أبرز ملامحها الحملات الحربية السنوية التي كانت تجوب الحدود التي يتراوح عرضها ما بين 200 و500 كلم، علما أن هذه الحدود كانت مملوءة لدى الجانبين الإسلامي والرومي بالمدن والحصون والقلاع[1].

ورغم تلك الحروب كلها، إلا أن خط الحدود الإسلامي الرومي لم يتغير، فالعصر العباسي كله عبارة عن سلسلة من المواقع المحصنة، تبدأ من طرسوس على البحر الشامي، ثم تذهب شرقًا إلى أذنة على نهر سيحان والمصيصة على ضفتي جيحان، ثم إلى الشمال الشرقي حتى مرعش، بعد مروره إلى غرب اللكام الشمالي بحصن الهارونية الذي بناه هارون الرشيد، لتمتد هذه السلسلة في شمال شرقي مرعش لتصل الى ثغر الحدث، وتقع ملطية في شمال شرقي هذا البلد التي تعتبر من اهم الحصون في شمال الجبهة، وعلى نهر الفرات الأعلى[2].

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص294.
[2] نفسه، ج2، ص327.

المبحث الثاني: اهتمام الخلفاء العباسيين بالثغور

بعد أن اهتم خلفاء بني أمية بالثغور واعتنوا ببنائها وإدخال التحصينات عليها بهدف حماية الحدود الإسلامية، جاء دور الخلفاء العباسيين في الاهتمام بها من حيث البناء والعمران، وكذلك الجوانب الحضارية لتكون قادرة على درء خطر بعض القوى المجاورة وعلى رأسها الدولة البيزنطية.

لذلك لم تبخل الدولة العباسية بالأموال الطائلة من أجل تدريب الجيش وإعداده حيث قال ابن خلدون[1] " الملك بالجند والجند بالمال"، وقال أيضا "الجند أعوان يكلفهم المال"، فخصصت للجند رواتب على شكل أعطيات وأرزاق، وأسندت هذه المهمة لإدارة تتولى رعاية الجند والاهتمام بهم وتمثلت تلك الإدارة في ديوان الجيش[2]، الذي منح للجند المرابطين إقطاعات في المناطق المحيطة بالثغور لزراعتها والاستفادة منها، وذلك زيادة عن عطائهم الرسمي، وقد قامت بتقسيم أراضيها الزراعية القريبة من الثغور إلى إقطاعات بغية في توزيعها على الجند المرابطين[3]، كما اهتم العباسيين بالإنفاق على مرافق مناطق الثغور بصفة كبيرة، حيث خصصت أموال طائلة لتوفير متطلبات الجند من الأمن والمؤونة والمزارع[4]، وقد بدأ الاهتمام ببناء الثغور وشحنها بالجند مع أول خليفة عباسي وهو أبو العباس السفاح الذي زود المصيصة بأربع مائة رجل وذلك زيادة في عدد سكانها، وأقطعهم فيها الأراضي[5].

---

[1] الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة المكرمة، 1986، ص294.

[2] صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، ط1، إيران، (د، ت)، ص496.

[3] أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص166. فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د، ت)، ج3، ص1032.

[4] الزهراني، المرجع السابق، ص304.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص179.

ولما استخلف أبو جعفر المنصور اهتم هو أيضا ببناء الثغور وتحصينها، حيث شرع ببناء المصيصة التي كان حائطها مهدما بسبب الزلازل، فقام ببناء سور المدينة وأمر بعمرانها حيث نقل إليها ألف رجل ومجموعة من الفرس والصقالبة، علما انها كانت قليلة السكان، وذلك سنة 139هـ/756م[1].

كما طلب المنصور من والي الجزيرة وثغورها عبد الوهاب بن ابراهيم التوجه إلى ملطية بعد أن أغار عليها الروم وخربها، وتهديمهم لحصن فلوذية، فقام والي الجزيرة بالتوجه الى ملطية مصطحبا معه الحسن بن قحطبة وسبعون ألف جندي من أهل خراسان، حيث عسكروا عليها وجمعوا أهل الصناعات من كل بلد وأتموا بنائها سنة 140هـ/757م، وكان للحسن فضل كبير في ذلك حيث بنى مسجدها وبنى بيوتا للجند الساكنين بها[2].

قام المنصور سنة 141-142هـ/758-759م بتوطين قوة عسكرية بأذنة وذلك أثناء وجود الجنود من أهل خراسان بقيادة مسلمة بن يحي البجلي وأيضا جنود من أهل الشام بقيادة مالك بن أدهم الباهلي وتوجهت هذه القوى إلى هناك بأمر من صالح بن علي، كما قام الخليفة ببناء الجسر الذي عند جسر أذنة على نهر سيحان[3].

كما أتم صالح بن علي بناء مدينة مرعش في عهد الخليفة المنصور سنة 150هـ/767م والذي أمره بتزويدها بحامية عسكرية وحرص أن يكون جنود هذه الحامية من أهل خراسان لأنها من ثغورهم، وذلك ضمن خطته في تحصين مناطق الثغور[4]، كذلك أعاد المنصور بناء حصن زبطرة بعد أن أغار عليه الروم أيام حدوث فتنة مروان بن محمد في العهد الأموي[5].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص173.

[2] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ص255. بن خياط، تاريخ خليفة، ص418.

[3] أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص133. الجنزوري، الثغور البرية، ص63.

[4] قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص319. الجنزوري، المرجع السابق، ص84.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص200.

توجه المهدي سنة 155هـ/772م بأمر من أبيه المنصور لبناء مدينة الرافقة وهي مدينة مقابلة لبلاد الشام، فبناها وحصنها بسور وخندق وجعل لها أبواب وفصول ورحاب وشوارع فكان بناؤها مماثل لبناء مدينة بغداد[1].

ولما تولى المهدي الخلافة سار على نهج أبيه بشأن بناء الثغور وتحصينها حيث بعث ابنه هارون الرشيد لغزو بلاد الروم سنة 165هـ/782م ومن ثم نزل على الخليج ورم المصيصة ومسجدها، وزاد في عدد سكانها لحمايتها، كما أنه أعاد بناء جسر أذنة الذي بني من قبل في عهد المنصور لكن بناءه لم يكن محكمًا فهدم وأعيد بناءه[2]، ومن أعمال الرشيد في عهد أبيه نذكر كذلك بناءه لمدينة كفربيا والتي غير بناءها في عهده وحصنها بخندق[3]، أما مدينة الحدث فاكتمل بناءها على يد علي بن سليمان بن علي والي الجزيرة وقنسرين في أواخر عهد المهدي، ثم أسكن فيها أربعة ألاف رجل ونقل إليها من أهل ملطية وسمسياط وشمشياط وكيسوم ألفي رجل وسميت المدينة "المحمدية" وكذلك "المهدية" نسبة إلى الخليفة محمد المهدي الذي توفي سنة 169هـ/785م وهي السنة التي اكتمل فيها بناء المدينة[4].

كما أمر الخليفة المهدي ببناء مدينة طرسوس، بعد أن أشار عليه قائده الحسن بن قحطبة الطائي بضرورة بنائها، وذلك بعد غزوه لبلاد الروم وخروجه منها، فقبل المهدي بذلك وأمره ببنائها لكنه توفي قبل الشروع في ذلك[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص46.

[2] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص169.

[3] أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص173. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص308.

[4] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص228.

[5] ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص113.

بعد وفاة المهدي خلفه ابنه موسى الهادي 169هـ/785م، ورغم قصر مدة خلافته إلا أنه ساهم هو أيضا في تحصين الثغور، والدليل على ذلك أنه بمجرد توليه الحكم لما بلغه خبر تهدم سور الحدث بسبب الأمطار والثلوج وأنها دمرت من طرف الروم سنة 170هـ/786م أمر ببناء المدينة وتحصينها وكلف بذلك مجموعة من عماله إلا أنهم لم ينفذوا ذلك بسبب موت الهادي[1].

ولما تولى الرشيد الخلافة سنة 170هـ/786م رأى أن خطر البيزنطيين سيبقى قائما مادامت الحدود مفتوحة لذا قام بمجموعة من التحصينات على الثغور ووضع فكرة العواصم لجعلها قاعدة لهم يشنوا منها حملاتهم على الروم[2].

كما أمر الرشيد قائده هرثمة بن أعين بعمارة طرسوس وتحصينها بعد أن وصلته أخبار عن توجه الروم إليها وكان ذلك سنة 171هـ/787م، فقام هرثمة بتكليف سليم الخادم بذلك، حيث حصنها بسورين وخندق وجعل لها خمسة أبواب ثم عمرها بمجموعة من السكان من بغداد وعددهم ثلاثة ألاف رجل، ومجموعة ثانية من المصيصة وعددهم ألفي رجل، ومجموعة من أنطاكية عددهم ألف رجل فعسكروا في طرسوس من أجل حمايتها[3].

وفي سنة 180هـ/796م وبعد أن أنهى الرشيد بناء عين زربة على يد أبي سليمان التركي وحصنها، نقل إليها مجموعة من أهل خراسان ومنحهم فيها منازل وإقطاعات[4]، وحوالي سنة 183هـ/799م أمر الرشيد ببناء الهارونية، فبنيت وحصنت وعمرت بالمقاتلة ومن نزل إليها من المتطوعة[5]، كما قام القاسم بن الرشيد بأمر من الخليفة هارون بتوجيه رجال إلى مدينة الكنيسة السوداء لترميمها وزيادة الجند فيها، وذلك بعد أن أغار عليها الروم، حيث أسروا عددا من الأهالي، ونهبوا ممتلكاتهم، إلا أن أهل المصيصة نفروا إليها وأنقذوا الأسرى المسلمين بعد أن

---

[1] أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص228. الجنزوري، الثغور البرية، ص98.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص170.

[3] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص311. الجنزوري، المرجع السابق، ص40.

[4] الجنزوري، المرجع السابق، ص77.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص178.

ألحقوا بالروم هزيمة نكراء وقتلوا عددًا منهم[1]، وعمرت في عهده مدينة الحدث على يد محمد بن ابراهيم بعد أن درء عنها خطر الروم، وشحنت المدينة بالجند وأسكنها الناس[2]، كما قام الرشيد بإعادة بناء مدينة مرعش وتحصينها[3]، وبناء حصن زبطرة على يد محمد بن ابراهيم وتزويده بالجنود والرجال، بعد أن أغارت عليه الروم وخربته[4].

كما قام أبو سليم الخادم ببناء مدينة أذنة سنة 194هـ/810م، ونقل إليها رجالا من أهل خراسان وغيرهم ووعدهم بزيادة العطاء، ليضمن بقاءهم وذلك بأمر من الخليفة محمد الأمين بن الرشيد[5]، وفي عهد الخليفة المأمون عمرت طوانة الواقعة في منطقة الثغور بالقرب من المصيصة حيث أرسل ابنه العباس برفقة مجموعة من العمال لبنائها، إلا أن بناءها لم يكتمل بسبب موت المأمون[6].

ضف عن ذلك قيام الروم بمهاجمة حصن زبطرة وأغاروا على أملاك أهله ونهبوا مالهم من مواشي فأمر المأمون بترميمه وتحصينه، ولما جاء إمبراطور الروم سنة 210هـ/825م يطلب الصلح، لم يجبه المأمون وكتب إلى عمال الثغور فساحوا إلى بلاد الروم ودخلوها، فأكثروا فيها القتل وظفروا ظفرًا حسنًا[7]، وبعد أن أغار الروم على حصن زبطرة في عهد الخليفة العباسي المعتصم، وقتلوا من كان به وخربوه، أمر ببناء الحصن مرة أخرى، وحصنه وبنى بالقرب منه عدة حصون لتقوم بحمايته[8] وبذلك أصبحت زبطرة حصنا قويا حاول الروم الدخول إليها بعد ذلك ولكنهم لم يستطيعوا[9]، كما أنه أتم بناء السور المحيط بمدينة كفربيا المجاورة للمصيصة، الذي كان

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص174.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص228.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص234.

[4] السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، إدارة الشؤون الإسلامية، ط2، قطر، 2013، ص459.

[5] البلاذري، فتوح البلدان، 175، 176.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص46.

[7] أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ص191، 192. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص285.

[8] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص253.

[9] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص248.

كان قد بدأ بناه المأمون في عهد والده الرشيد، إلا أنه لم يتمه في حينه[1]، بالإضافة إلى إنشاء عدة عدة قواعد عسكرية لتجميع الجند والمسالح والمراصد، وتحصينات متعددة في مناطق الثغور والطرق المؤدية إليها لحمايتها.

كما أن المعتصم لم يغفل عن التهديدات البيزنطية التي كانت تأتي من جهة البحر، فأمر ببناء حصن بمنطقة الميناء المسماة سلوقية، بعد إلحاح البيزنطيين في الهجمات على أنطاكية ما بين عامي 213-226هـ/828-841م، حيث قاموا بتدمير المدينة ونهب التجار في الميناء وأسر الناس، كما أمر إثر عودته من فتح عمورية سنة 223هـ/838م ببناء السفن في الشام، وقد كانت مركزا لبناء السفن موزعة على دمياط وصور وطرسوس، وذلك لاقتناعه بضرورة وجود قوة بحرية تحمي الشواطئ الشامية والمصرية من هجمات البيزنطيين[2]، فقد اهتم بتطوير صناعة السفن بطرسوس، حيث بلغ عددها في ذلك الميناء في حدود ثلاثمائة مركب سنة 227هـ/841م[3].

ولما تولى الخليفة العباسي الواثق 227-232هـ/842-847م لم يغفل هو الأخر عن تحصين الثغور وبناءها، حيث تم في عهده بناء حصن الإسكندرونة على يد أحمد بن أبي داوود الإيادي، الذي قد يكون جدد بناءه[4].

[1] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص308.
[2] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص545.
[3] طه خضر عبيد، واقع البحرية، ص110.
[4] اليعقوبي، البلدان، ص207.

المبحث الثالث: قيادة الحملات العسكرية ضد الروم

لقد كان عهد المنصور فترة توطيد الدولة العباسية، لم يشهد أعمالاً حربية واسعة، إلا أن خطته في أواخر عهده كانت تهدف إلى الرد على ضربات الروم بالدفاع والتحصين والهجوم في بعض الأحيان خاصة في السنوات الأخيرة.

فالجهاد العباسي قد عرف ذروته أثناء خلافة المهدي الذي اتبع نهج أبيه في الهجوم الوقائي ضد الروم، وأوجد تقليدا جديدا وهو قيادة الحملات العسكرية بنفسه واستمر ذلك إلى غاية خلافة المعتصم[1].

أما عن أولى غزوات المهدي فكانت عبارة عن عملية انتقامية ضد الروم، تمثلت في هجومين اثنين، الأول كان سنة 159هـ/776م كرد فعل على حملة ليو الرابع ضد سمسياط، وأرسل المهدي في نفس الوقت حملة بقيادة حسن الوصيف ومعه جماعة من قواد خراسان حيث بلغت أنقرة وفتحت معها مطمورة، أما المهدي في ذلك الوقت فكان معسكرًا في مكان يعرف بالبردان[2] وهو نهر بطرسوس[3].

وفي سنة 163هـ/779م قرر الخليفة المهدي غزو بلاد الروم بنفسه، فبدأ في تجهيز الجيش حيث أنفق عليه أموالاً طائلة وجمع الجنود من أهل خراسان وغيرهم لملاقاة الروم، وكان برفقته ابنه الرشيد فسار من بغداد بعد أن استخلف فيها ابنه موسى الهادي حتى وصل إلى حلب فجعلها قاعدة عسكرية له، ولكن نظرًا لانشغاله بإدارة دولته ترك قيادة الجيش لابنه الرشيد، الذي واصل

---

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص300.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص116.

[3] الزبيدي، تاج العروس، ج7، ص424.

تقدمه نحو بلاد الروم عبر آسيا الصغرى حتى نزل بحصن سمالو[1]، وحاصره ثمانية وثلاثون يوما ونصب عليه المجانيق حتى فتحه[2].

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة اعتنى في فترة حكمه الأولى أو ما أطلق عليها اسم الفترة الهادئة بتنظيم الحدود مع الروم وتحصينها، ففي سنة 170هـ/786م فصل الثغور الشامية عن الثغور الجزرية وجعلها منطقتين عسكريتين وأطلق على الشامية اسم العواصم واهتم بإعمارها وتعزيزها بهدف إيجاد وحدة عسكرية قادرة على الدفاع عن الحدود الإسلامية[3].

أما في سنة 180هـ/795م توجه الرشيد غازيا بلاد الروم واصطحب معه زفر بن عاصم حيث أقام الجيش في الرقة شهرا يجهز نفسه للغزو، ثم دخل إلى أرض الروم فافتتح مدينة معصوف ثم عاد الى الرقة وأقام بها بقية عامه[4].

وفى سنة 187هـ/802م سار الرشيد على رأس حملة عسكرية ضخمة لغزو بلاد الروم وذلك بسبب نقض الصلح الذى جرى بينه وبين الملكة إرين من قبل[5]، وبسبب الخلافات بينه وبين الإمبراطور نقفور وتبادل رسائل التهديد بينهما، حيث أرسل نقفور للخليفة الرشيد كتابا قائلا فيه "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي.. أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت لك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإن قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما

---

[1] سمالو: وهي مدينة بالثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس، لما حاصر الرشيد أهل صمالو سألوا الأمان لعشرة أبيات فيهم القومس وأن لا يفرق بينهم، فقبل الرشيد بذلك فأنزلوا بغداد على باب الشماسية فسموا موضعهم سمالو، غيروا الصاد بالسين، أنظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2 ، ص851.

[2] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص144. ابن الأثر، الكامل في التاريخ، ج5، ص244. شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص304.

[3] شاكر مصطفى، المرجع نفسه، ج2، ص310.

[4] الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط1، القاهرة، 1960، ص390.

[5] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص138.

يقع به المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك"، ثم رد عليه هارون "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه.. والسلام"[1]

ثم سار هارون على رأس حملة ضخمة لتأديب نقفور فقام بالتوجه إلى هرقلة، ولما سمع نقفور خبر تقدم الرشيد أمر قادته بسد الطريق عليه، وذلك باقتلاع الأشجار وإشعال النيران فيها وإلقائها في طريقه، لكن هارون تجاوز النار هو ومن معه، ثم وصل هرقلة وحاصرها عدة أيام حتى فتحها، وأسر عددًا من أهلها، ونهب أموالاً كثيرة فاضطر نقفور على مصالحة الرشيد مقابل جزية تدفع كل سنة[2].

وبعد عودة الرشيد من غزوته ووصوله الى الرقة نقض نقفور العهد، حيث كان البرد شديدًا وكان الرشيد مريضًا، فأمن نقفور عودته إليه، ولما سمع الوزراء خبر نقضه لم يستطيع أحد إخبار الرشيد بذلك، خوفا على أنفسهم من العودة في ذلك البرد وإشفاقًا على الخليفة، فاحتيل له بشاعر من أهل جدة وهو فيما قيل أنه أبو محمد عبد الله ابن يوسف فقال أبياتا منها:

- نقض الذي أعطيته نقفور   فعليه دائرة البوار تدور
- أبشر أمير المؤمنين فإنه   فتح أتاك به الإله الكبير
- فلما سمع الرشيد ذلك قال، أوقد فعل ذلك نقفور؟ وعلم أن الوزراء احتالوا عليه[3].

ومرة أخرى سار الرشيد إلى بلاد الروم على رأس حملة متكونة من خمسة وثلاثين ألف مقاتلا من المرتزقة وكان هذا سنة 190هـ/805م، بالإضافة إلى الأتباع والمطوعة ومن لا ديوان لهم[4]

---

[1] أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص462،461. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص138. كحيلة عبادة بن عبد الرحمن رضا، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، ط1، دار الكتاب الحديث، الكويت، (د، ت)، ص209، 210.

[2] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص308. مسكويه محمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسوري حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ج3، ص246.

[3] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص334. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص138، 139. مسكويه، المصدر السابق، ج3، ص246.

[4] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج3، ص283.

وذلك للرد على نقفور الذي يقطع وعدًا بأن يسترجع هيبة الروم في أقرب وقت، فامتنع عن دفع الجزية لهارون وتقدم ناحية عين زربة والكنيسة السوداء، فقاتل المسلمين المرابطين فيها وأسر عدد من الأسرى المسلمين من أيدي الروم[1].

وفي نفس السنة وصل الرشيد إلى بلاد الروم ووزع القواد فيها[2]، حيث أرسل داود بن عيسى بن موسى مع سبعين ألف من الجند إلى أرض الروم، ففتح بلدان كثيرة وهدم بعض القلاع والحصون وأرسل كذلك قائده عبد الله بن مالك نحوى ذي الكلاع ففتح حصنها وعادا سالما، أما يزيد بن مخلد فأرسله ناحية الصفصاف وملقونية ففتحها عنوة[3].

وبعد فتح المسلمين لهذه المدن نزل الرشيد إلي هرقلة وهي من أوثق حصون الروم، حيث كانت بها قلعة أحيطت بخندق يصعب الوصول إليه، فقام المسلمون بمحاصرتها شهرا كاملا باستخدام المجانيق والسهام[4]، ثم أمر الرشيد قادته بهدم أسوار القلعة فلما رأى أهلها سقوط جنبات السور لجأوا إلى فتح أبواب قلعتهم، وأعلنوا الطاعة للمسلمين ووافقوا على دفع الجزية مقابل الأمان، أما نقفور فقد بادر إلى دفع الخراج عن أرضه والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلاده[5]، ثم سار الرشيد إلى مدينة طوانة التي أراد أهلها الكيد بالمسلمين، بعد أن أظهروا نقضهم للولاء لهم فعسكر بها حتى أعلن أهلها الطاعة ثم رحل الخليفة وترك عليها عقبه بن جعفر[6].

وأقام الرشيد سنة 191هـ/806م بدرب الحدث ثلاثة أيام، ومن هناك وجه سعيد بن سلم بن قتيبة إلى مرعش حيث أقام فيها مع المسلمين، ثم أغار عليها الروم فأصابوا أهلها وانصرفوا، لكن

---

[1] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص320. ابن الجوري، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص180.

[2] بن خياط، تاريخ خليفة، ص459.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص342.

[4] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص 180، 181.

[5] أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج8، ص321. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص284.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص321.

سعيد لم يتحرك من مكانه، فأرسل الرشيد إلى الروم محمد بن يزيد بن مزيد يتتبعهم فلحق بهم في طرسوس وأوقع بهم[1].

وفي عهد المأمون وبالتحديد سنة 215هـ/830م قاد الصائفة ودخل بلاد الروم وسار على بغداد بعد أن استخلف عليها إسحاق بن ابراهيم بن مصعب، وولاه السواد وحلوان وكوردجلة، ولما وصل إلى تكريت لقيه محمد بن علي الرضا فأجازه حيث زوجه ابنته أم الفضل، ومن هناك سار المأمون إلى الموصل ثم المنبع ثم إلى دابق وأنطاكية والمصيصة ثم طرسوس، ودخل من هناك فافتتح حصن قرة وأمر بهدمه، ثم فتح حصن ماجد كذلك، ووجه المأمون جعفر الخياط وعجيفا إلى حصن سنان فأطاعه أهله[2].

وبعد عودة المأمون من العراق إلى دمشق، بلغه أن الروم أغاروا على المصيصة وطرسوس وقتلوا أهلها، فرجع إليهم وحاربهم وفتح كثيرا من معاقلهم ومدنهم وثار على هرقلة فهاجم أهلها حتى استأمنهم ثم بعث المعتصم إلى بلاد الروم، فافتتح ثلاثون حصنا منها مطمورة.

وحاصر المأمون مدينة لؤلؤة سنة 217هـ/832م لمدة مائة يوم ثم رحل عنها وخلف عجيفا لحصارها[3]. ولما تولى المعتصم الخلافة نزلت الروم على حصن زبطرة وهو من الثغور الجزرية الهامة، ولم ترحل عنه حتى خربته حيث حرقت المدينة وقتلت أهلها وهاجمت الروم كذلك مدينة ملطية وسمسياط[4]، فلما بلغ الخبر المعتصم انزعج لذلك جدا، ونهض من فوره فأمر بتجهيز الجيوش واستدعى القاضي والعدول فأشهده أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لوالده وثلثه لمواليه[5].

---

[1] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص284.

[2] الأزدي، تاريخ الموصل، تح: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ج1، ص640، 641. اليعقوبي، تاريخه، ج3، ص182.

[3] مسكويه، تجارب الأمم، ج3، ص414.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، ص200.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص251.

ثم قرر المعتصم سنة 223هـ/838م غزو الروم في عقر دارهم، وكان في تلك الفترة قد حصل على الخارجي بابك الخرمي فسأله أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل عمورية لم يعرض له أحد من المسلمين وهي عين النصرانية وأشرف عندهم من القسطنطينية[1].

بعد أن انتهى المعتصم من أمر بابك خرج في حشد كبير من المسلمين وعبر الحدود إلى الروم فانتصر عليهم واستولى على أنقرى، ثم توجه إلى عمورية وهي مسقط رأس الملك فحاصرها ثم فتحها بعد أن أسر بعض من أهلها وقتل البعض الآخر، وحرق وخرب المدينة حيث ظلت النيران مشتعلة أربعة أيام، حتى اضطر الملك تيوفيل إلى طلب الصلح[2].

ويعتبر هذا النصر الذي أحرزه المعتصم نصرًا عظيمًا حيث خلده الشاعر أبو تمام في قصيدته المشهورة

لسيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب[3]

وتعد معركة عمورية خاتمة المعارك العظيمة التي خاضها العباسيون ضد الروم في العصر العباسي الأول.

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ج57.

[2] أنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995، ج73، ص238.
الأزدي، تاريخ الموصل، ج1، ص690.

[3] كحيلة، العقد الثمين، ص211.

المبحث الرابع: إرسال حملات الصوائف والشواتي

بعد أن تولى خلفاء بني العباس قيادة الحملات العسكرية بأنفسهم، سنتطرق الآن إلى ذكر استمرارهم لتسيير هذه الحملات المحدودة المسماة بالصوائف والشواتي[1]، التي لم تكد تخلو سنة دون أن تسير فيها صائفة أو شاتية وربما أكثر.

ففي سنة 133هـ/750م قام قسطنطين الخامس بالتوجه نحو ملطية مدمرا لكل ما يجد أمامه من تحصينات وثغور جزرية، فاستولى على الحدث ثم وصل إلى ملطية وحاصرها[2]. وردا على هذه الهجومات ارسل ابو جعفر السفاح سنة 134هـ/751م صائفتين إحداهما الى مدينة ملطية بقيادة عميه صالح بن عيسى وعيسى بن علي اللذين دمرا سورها، والثانية الى الطوانة بقيادة محمد بن نصر بن بريم الحميري[3].

ونتيجة لذلك قام أهل ملطية بطلب المساعدة من عامل الجزيرة موسى بن كعب[4]، الذي لم يستطيع إعانتهم بسبب الاضطرابات التي كانت تعانيها تلك الجزيرة، وبعد أن علم الامبراطور البيزنطي بذلك الأمر قال لهم بأنه لم يأت إلا وهو على علم ودراية بأمرهم، وطلب منهم الخروج من المدينة حتى يهدمها ثم يرحل عنهم[5]، إلا أنهم رفضوا طلبه، فقام بتشديد الحصار عليهم ونصب لهم المجانيق، وبعد أن أجهدهم البلاء واشتد عليهم الحصار الذي ازدادت أثاره السلبية على السكان، فسألوه أن يوثق لهم ففعل فاستعدوا للرحلة وقاموا بحمل ما استدق لهم، إضافة إلى أنهم ألقوا كل ما ثقل عليهم في الآبار والمخابئ حتى لا يحصل عليها البيزنطيين، ثم خرجوا من

---

[1] يبدأ غزو الربيع في ماي حتى تقوى الخيل وتسمن من مراعي الربيع، ويدوم الغزو 30 يوم إلى نصف جوان. ثم يستريحون منتصف جوان إلى منتصف جويلية، وتبدأ حملة الصيف في منتصف جويلية وتدوم 60 يوما حتى 15 سبتمبر.
أما حملات الشتاء فتكون إلا للضرورة ويحرصون على أن لا تدوم طويلا (20يوم)، تكون أواخر فيفري والنصف الأول من مارس.

[2] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص254. البلاذري، فتوح البلدان، ص186.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص71.

[4] موسى بن كعب التميمي المروزي: أحد نقباء بن العباس الاثني عشر، وولي امرة مصر سبعة أشهر، أنظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،(د، ت)، ج1، ص148.

[5] أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ص186. ابن العديم، المصدر السابق، ج1، 254.

المدينة وكي لا يهربوا قام الروم بجعلهم يمرون تحت السيوف المتقابلة على شكل قنطرة، ثم شيعوهم حتى بلغوا مأمنهم، توجه قسم منهم إلى بلاد الجزيرة والقسم الآخر أخذه البيزنطيون معهم كأسرى، وبعد ذلك أمر الإمبراطور البيزنطي بهدم المدينة ثم توجه إلى حصن سمسياط وخربه[1].

كما طلب الخليفة أبو العباس سنة 136هـ/754م من عمه عبد الله بن علي التوجه إلى الثغور الجزرية للوقوف في وجه البيزنطيين، فلبى عبد الله ذلك وجمع جيشه المكون من أهل خراسان والشام والجزيرة فقام بالتوجه نحو الثغور حيث بقي مرابطا هناك، إلا أنه عاد الى الجزيرة دون القيام بأي حركة ضد الروم، وذلك بسبب علمه بخبر وفاة أبي العباس، واستلام أبي جعفر المنصور الخلافة، لأن أبا العباس كان قد وعده بالخلافة بعد خروجه لصد البيزنطيين عن الثغور[2].

وبسبب الظروف السيئة التي كانت تعايشها الدولة البيزنطية قرر الخليفة أبي جعفر المنصور، الشروع في تسيير الصوائف والشواتي، واسترجاع ما أخذه الروم، فقام بإرسال صائفة بقيادة أخيه العباس بن محمد وعمه صالح بن علي لاستعادة ملطية من أيادي الروم سنة 138هـ/755م والتي انتصرا فيها واسترجعا المدينة[3].

وفي الأعوام 139-149هـ/757-766م توقف المنصور عن التصدي لهجمات البيزنطيين، ووجه كل اهتمامه للقضاء على ثورة النفس الزكية (ثورة المهدي) بالمدينة، غير انه أرسل سنة 140هـ/757م صائفة واحدة بقيادة عبد الوهاب بن إبراهيم[4]، ;وقد رفض المقاتلين والمرابطين في الثغر الانصياع لأوامر المنصور، إلا أنه تم أسر عدد كبير من المسلمين من

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص186، 187.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص473. اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص362.

[3] ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الميسرية، مكة، 1884، ص156.

[4] نفسه، ص158.

طرف ملك الروم، الذي طلب بدوره الفدية، وقد رفض المنصور ذلك، وفي تلك الأثناء تدخل الفقيه الأوزاعي فعدل الخليفة عن رأيه وأمر بالفداء[1].

كما قامت الصائفة التي على رأسها معيوف بن يحي الجحوري، بمداهمة أحد حصون الروم ليلا سنة 153هـ/770م، فقام بنهب وأسر كل من كان فيه ومن ثم توجه إلى اللاذقية ففتحها وأخرج منها ستة ألاف من السبي، ما عدا الرجال البالغين[2].

إضافة على ذلك قام المنصور بإرسال صائفة تحت قيادة معيوف بن يحي، بعد رفضه طلب الصلح من طرف الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس، وذلك للتفرغ لمشاكله الداخلية، حيث تحركت الصائفة من درب الحدث فالتقت بالجيش البيزنطي فتقاتلوا ثم تحاجزوا في سنة 158هـ/774م[3].

وفي فترة استخلاف المهدي الذي اتبع نهج والده المنصور، في تسييره لهذه الحملات بنفس القوة والنشاط، حيث كان يشرف بنفسه على العمليات الحربية في مناطق الثغور، معسكرا خلال تسيرها في مكان يعرف بالبردان[4] بظاهر بغداد[5].

كما قام المهدي سنة 159هـ/775م بإرسال العباس بن محمد على رأس صائفة بلغت أنقرة علما انه كان في مقدمته العباس الحسن الوصيف إلى بلاد الروم، ففتح في غزوته هذه مدينة للروم ومطمورة معها ثم عادوا سالمين[6]، وردا على ذلك قامت الروم بالهجوم على سمسياط بقيادة

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص74.

[2] ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص160.

[3] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص208. بن خياط، تاريخ خليفة، ص167.

[4] البردان: من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها، وهي من نواحي دجيل، وسميت بالبردان، لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسبي فنفوا منه شيئا قالوا: برده أي اذهبوا به إلى القرية، فسميت بذلك، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص375.

[5] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص116.

[6] ريني دحلان، المرجع السابق، ص160.

الإمبراطور ليو الرابع، حيث أخذوا معهم عددا كبيرًا من الأسرى والغنائم، ما أدى بالمهدي لإرسال مولاه صغير الذي استنفذ الأسرى منهم[1].

أما سنة 161هـ/777م اصطدم الجيشان ثمامة بن الوليد والبيزنطيين بقيادة ميخائيل حيث دارت بينهما معركة كبيرة كانت الغلبة فيها للروم، وقد قتل عدد كبير من الجيش العباسي[2].

وكرد على ما حدث قام المهدي بتجهيز جيشا ضخما سنة 162هـ/778م بقيادة الحسن بن قحطبة الذي ضم قوات من خراسان والموصل والشام واليمن والعراق، ووجهه إلى بلاد الروم فدمر وحرق وسبى، مما أدى بالبيزنطيين للتراجع عن المناطق التي احتلوها.[3]

وقام الخليفة ببعث قائده عبد الكريم بن عبد الحميد بن يزيد بن الخطاب سنة 164هـ/780م، على رأس الصوائف، بعد علمه بأن الروم قد استعدوا لهم في درب الحدث في تسعين ألف يتقدمهم بطارقتهم، رغبة في رد الاعتبار بعد هزيمتهم في قلعة صمالو، فغضب المهدي واعتبر ذلك هزيمة فأراد ضرب عنقه فكلم المهدي فيه فحبسه في المطبق[4] حتى مات[5].

مات[5].

كما بعث الخليفة المهدي ابنه هارون على رأس الصائفة لغزو الروم في سنة 165هـ/781م في جيش بلغ عدده حوالي مائة ألف رجل تقريبا، حيث كان يحمل معه من النفقة مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسيين دينارا، ومن الفضة إحدى وعشرون ألف وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم[6].

---

[1] اليعقوبي، تاريخه، ج3، ص146.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص136. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص226.

[3] بن خياط، تاريخ خليفة، ص437.

[4] المطبق: هو السجن المقام تحت الأرض لأنه أطبق على من فيه انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص417.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص150. بن خياط، المصدر السابق، ص438

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص168. ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص161.

فدخل هارون بجيشه إلى بلاد الروم وقام بتهديم حصن ماجد، فتصدى له البيزنطيون في أكثر من مكان إلا أن الرشيد هزمهم وظل ينتقل من نصر إلى آخر، حتى أشرف على خليج البحر الذي على القسطنطينية[1].

وقد قامت الإمبراطورة إيرين بالمبادرة إلى طلب الصلح مع المسلمين نتيجة للانتصارات التي حققوها، حيث نصت الهدنة على إيقاف الحرب بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات، مع تعهدها بدفع جزية سنوية للمسلمين تؤديها بداية من أفريل في كل سنة، إضافة إلى تزويد الجيش العباسي بالأدلاء وأن تسير لهم المؤن في الطريق عند كل منزلة[2] وقد كانت تلك الحملة من أبرز الحملات التي حدثت في العهد العباسي، والتي وصلت إلى الحدود القسطنطينية.

إلا أن هذه الهدنة نقضت من طرف الملكة سنة 168هـ/784م وذلك قبل انتهائها بأربعة أشهر فامتنعت عن دفع الجزية للمسلمين، ونتيجة لذلك قام المهدي بإرسال سرية على رأسها علي بن سليمان والي الجزيرة وقنسرين ويزيد بن بدر بن البطال، وفور وصولها إلى بلاد الروم قاتلت البيزنطيين وهدمت بعض القلاع التي على الحدود وغنموا وعادوا سالمين[3].

وفي سنة 169هـ/785م اصطدمت صائفة معيوف بن يحي، مع الجيش البيزنطي الذي تحرك بأمر من إيرين، رغبة في رد الاعتبار بعد هزيمتهم الأخيرة فتقابل الجيشان في منطقة الحدث، حيث هزم البيزنطيون وقام المسلمون بالتوغل في بلاد الروم حتى وصلوا إلى مدينة أشنة[4]، فتحصلوا على غنائم وفيرة علمًا أنهم أسروا حوالي 500 رجل[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص152.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص238.

[3] أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج5، ص167. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص250

[4] أشنة: بلدة من طرف أذربيجان، بينها وبين أرمية يومان وبين أربل خمسة، ذات بساتين وفيها كمثري يفصل على غيره يحمل إلى جميع ما يجاورها من النواحي، إلا أن الخراب فيها ظاهر، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص203.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 203، 204. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص263.

في فترة الخليفة هارون الرشيد عمل على تكثيف إرسال الصوائف والشواتي لغزو بلاد الروم انطلاقًا من مناطق الثغور وكادت أن تكون شبه سنوية، وفيما يلي سنورد أبرزها:

اولا ارسل صائفة سنة 170هـ/786م بقيادة سليمان بن عبد الله البكائي، الذي غزى أرض الروم وانتصر عليهم وعاد سالما مع جيشه[1].

بعد ذلك أرسل صائفة أخرى سنة 171هـ/787م على رأسها سليمان بن عبد الله الأصم، إلى بلاد الروم فغنم وسلم[2].

وقد نزل الخليفة هارون الرشيد بالجيش إلى مرج القلعة سنة 172هـ/788م، حيث بعث على الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي[3]، وفي السنة نفسها هاجم زفر بن عاصم الهلالي الصائفة وبعث ابنه عبد العزيز بن زفر فوصل إلى جيحان، فأصابه برد فعاد أدراجه، كما أرسل الرشيد عبد الملك بن صالح سنة 173هـ/789م على رأس الصائفة، والتي وصلت إلى أرض الروم إلا أنها لم تتوغل فيها[4].

وقد عاد عبد الملك بن صالح لقيادة الصائفة من جديد سنة 174هـ/790م بأمر من الرشيد، والذي قام بتوجيه ابنه عبد الرحمن على رأس الجيش حتى بلغ عقبة السير، وهي قلعة قرب الحدث فاصطدم بالروم إلا أنه انتصر عليهم فأسر وغنم منهم وعاد[5].

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص275.

[2] بن خياط، تاريخ خليفة، ص448.

[3] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج8، ص343.

[4] بن خياط، المصدر السابق، ص448، 449.

[5] ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص161.

وردا على أسر الروم لبعض الجند العباسيين المسافرين في البحر من مصر إلى سورية سنة 174هـ/790م، تحرك أسطول عربي من مصر إلى قبرص ومنها إلى سواحل آسيا الصغرى، فالتقى بأسطول الروم وأسر أمير البحر البيزنطي[1].

وقاد عبد الرحمن بن عبد الملك الشاتية سنة 175هـ/791م ، فاستعان بأهل الثغور الشامية، حيث شكلوا جبهة واحدة لم يستطيع الروم مقاومتها، رغم البرد الشديد الذي أصابهم وأسقط أيديهم وأرجلهم، غير أنهم وصلوا إلى قلعة أقريطيه وفتحوها وحصلوا على السبي حوالي تسعة عشر ألفا من الناس[2]، وقد قاد للمرة الثالثة الصائفة سنة 176هـ/792م، وفتحوا بها أحد حصون الروم إضافة إلى فتحهم لمدينة دبسة في بلاد الروم، ثم عادوا سالمين[3].

وقام الرشيد بتسيير ثلاث صوائف وشاتية سنة 177هـ/793م، قاد الأولى عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي إلا أنه لم يلتق بالروم بسبب الظروف المناخية[4]، والثانية عبد الله بن صالح بن علي الذي قام بالدخول إلى أرض الروم وغزوها، حيث عاد سالما بعد أن أسر وغنم.

أما الثالثة فقادها يسار بن صقلاب، الذي تقدم بأهل المصيصة عن طريق الصفصاف ثم الطوانة، حتى دخل أرض الروم وهزمهم وعاد أدراجه بعد أن غنم الكثير وسلم من خطر الروم وفي ما يخص الشاتية، فقد قادها سليمان بن راشد الثقفي، الذي تقدم بالجيش حتى وصل إلى ملطية بعد معاناة كبيرة من شدة البرد، أين تمكن المسلمون من هزيمة البيزنطيين، ثم عادوا بعد أن مات بعضهم من شدة البرد[5].

---

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص312.

[2] انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص288. بن خياط، تاريخ خليفة، ص449. ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص 161.

[3] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص20.

[4] انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص255. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص29.

[5] بن خياط، المصدر السابق، ص450.

كما قام الرشيد بتسيير صائفة سنة 178هـ/794م بقيادة معاوية بن زفر، وشاتية بقيادة سليمان بن راشد حيث بلغ كلاهما أرض العدو واصطداما بالروم، فانتصروا ثم عادوا[1].

وأرسل الرشيد من جديد صائفة أخرى بقيادة عبد الملك بن صالح إلى شمال الروم سنة 181هـ/797م، والذي فتح أنقرة ومطمورة، ضف على ذلك غزوه لمنطقة مالاجينا، حيث غنم منها خيولا ومعدات حربية[2].

ثم أرسلت صائفة على رأسها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذلك سنة 182هـ/798م، والتي توغلت في أرض الروم، كما دارت معركة قوية بينهم وبين البيزنطيين، كان النصر فيها حليف المسلمون فغنموا وزحفوا نحو أفسوس[3]، فانتصروا مرة أخرى، وقاموا بأسر سبعة ألاف رومي ثم عادوا[4]، وهذه الأخيرة أفزعت الإمبراطورة إيرين، مما دفعها لمصالحة المسلمين مقابل أن تدفع جزية مقدارها تسعين ألف دينار، تخوفا من سقوط عرشها[5].

وبناء على ذلك الصلح والجزية، توقفت الصوائف والشواتي على أرض الروم في الفترة بين 183-186هـ/79م-802م، مما سمح للرشيد بتوجيه اهتمامه للخزر[6] الذين دخلوا سنة 183هـ/799م على المسلمين من ثلمة أرمينية بأكثر من مائة ألف محارب، فقاموا بتهديم بعض المدن وقتلوا بعض سكانها وأسروا آخرون، فاضطر الرشيد إلى توجيه قوات الخلافة العباسية

---

[1] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص307. ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص36.

[2] أنظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1986، ج2، ص359. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج9، ص57.

[3] أفسوس: مدينة مشهورة بأرض الروم، وهي مدينة دقلديانوس الجبار الذي هرب منه أصحاب الكهف، وبين الكهف والمدينة مقدار فرسخين، انظر: القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ص498.

[4] أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص327. ريني دحلان، الفتوحات الاسلامية، ص162.

[5] الخزر: جبل عظيم من الترك بلادهم خلف باب الأبواب (االدربند)، وهم صنفان: بيض وسمر، ولهم ملك عظيم يسمى بل، وفيهم مسلمون ونصارى ويهود وعبدة الأوثان، أنظر: القزويني، المصدر السابق، ص584، 585.

[6] محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000، ص114.

عليهم بقيادة خازم بن خزيمة[1] ويزيد بن مزيد الشيباني[2]، فقاموا بطرد الخزر من أرض المسلمين وتم سد الثلمة التي دخلوا منها، وإصلاح ما خربوه[3].

رغم أن هذا الصلح الذي وقع مع المسلمين نقض بعد أن تولى نقفور حكم الدولة البيزنطية فامتنع عن دفع الجزية، وهذا ما دفع الرشيد لاستئناف تسيير الصوائف والشواتي ضد الروم، حيث قام بإرسال ابنه القاسم ومعه العباس بن جعفر على رأس الصائفة فتوغل في بلاد الروم وفرض الحصار على حصن قرة بينما حاصر العباس حصن سنان وكان هذا سنة 187هـ/802م، فاضطر نقفور إلى إخراج أسرى المسلمين من السجون البيزنطية كانوا حوالي ثلاثمائة وعشرون رجلاً، ثم سلمهم للقاسم بن الرشيد مقابل أن يرحلوا عن بلاده[4].

كما قام الرشيد بتسيير صائفة إلى نقفور بقيادة ابراهيم بن جبريل[5]، والذي كعادته كان قد نقض الصلح في نفس السنة وامتنع عن دفع الجزية المقررة عليه، فقام ابراهيم بن جبريل بالدخول إلى أرض الروم من ناحية الصفصاف، وتقابل الطرفان في معركة شديدة نتج عنها هزيمة الروم وفرار نقفور من الميدان بعد ما جرح ثلاث جراحات، وحصول المسلمين على أربعة ألاف دابة من الروم، وقتل أربعين ألفا وسبعمائة من الجيش البيزنطي[6].

---

[1] خازم بن خزيمة: أحد الجنود الذين غلبوا على مر الروذ سنة 129هـ/ 746م وقتل عامل نصر بن سيار عليها وبعثه أبو العباس السفاح سنة 134هـ/751م إلى بسام بن ابراهيم، الذي خلف وخلع الطاعة فانهزم بسام وأصحابه، وقتل أكثرهم، أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص461. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج7، ص324.

[2] يزيد بن مزيد الشيباني: أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي، ولاه المأمون مصر سنة 206هـ، دخلها وقاتله عبيد الله بن السري فلم يستقر فيها، فولاه الموصل ثم زاده ديار ربيعة كلها، فأقام إلى أيام الواثق فلما انتفضت أرمينية انتدبه الواثق، كان يكنى في السلم بأبي يزيد، وفي الحرب بأبي الزبير، أنظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص301.

[3] أنظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص375. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص83.

[4] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص357، 358 . اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص423. ريني دخلان، الفتوحات الإسلامية، ص162.

[5] ابراهيم بن جبريل: من القادة الأفذاذ، خرج مع الفضل بن يحي البرمكي الى خراسان سنة 178هـ/794م وهو كاره للخروج، ولي امرة سجستان سنة 178هـ/794م وفتح كابل وغنم غنائم كثيرة في نفس السنة، ولاه الرشيد أمر الصائفة سنة 188هـ/803م ونصره الله على الروم، أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج8، ص258.

[6] أنظر: الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص313. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص404.

كما وجه الخليفة هارون الرشيد سنة 190هـ/805م حميد بن معيوف الهمداني إلى ساحل البحر الشامي الذي وصل إلى قبرص ففتحها، وهدم بعض قلاعها وسبى من أهلها ستة عشر ألفا[1] فأسكنهم الرافقة مع المسلمين إلى أن أمر الرشيد بردهم إلى بلادهم[2].

وبعدها قام الرشيد بإرسال يزيد بن مخلد الهبيري على رأس عشرة ألاف رجل من المسلمين سنة 191هـ/806م، فقام الروم باعتراضه في أحد المضايق القريبة من طرسوس فقتل هو وخمسين رجلاً، ففضل المسلمون الرجوع بعدها نتيجة لمهاجمة الروم لهم بأعداد كبيرة[3].

وولى الخليفة هارون الرشيد ثابت بن نصر بن مالك إمارة الثغور الشامية سنة 192هـ/807م وكلفة بقيادة الصائفة، فغزى بلاد الروم وقام بفتح مطمورة، ونتيجة لكثرة غزوات المسلمين عم الرعب داخل الدولة البيزنطية، مما دفعهم إلى التفكير في مصالحة المسلمين[4]، وقد نفذت عملية الصلح والفداء مع الروم من طرف ثابت بن نصر الخزاعي، حيث فودي في ذلك العام من المسلمين في سبعة أيام حوالي ألفين وخمسمائة رجل وامرأة[5].

كما توقفت حملات الصوائف والشواتي بشكل مؤقت على الإمبراطورية البيزنطية، نتيجة لوفاة الخليفة هارون الرشيد في 5 جمادى الثاني سنة 193هـ/24 فيفري809م، وانشغل المسلمين بفتنة الأمين والمأمون التي استمرت ما بين أعوام 193-198هـ/808-813م[6].

وهكذا كانت العلاقة بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية خلال أيام الرشيد عدائية متوترة تتخللها بعض المهادنات، وفي عهد المعتصم سنة224هـ/839م قام أمير الشام والجزيرة أبو سعيد بن يوسف مع بشير أمير المصيصة بالهجوم مرة بعد مرة على أرض الروم، وقد ظفروا في إحدى

---

[1] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص371. ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص163.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص320.

[3] أنظر: الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص323. ريني دحلان، المرجع السابق، ص163.

[4] أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص384. ريني دحلان، المرجع السابق، ص164.

[5] المسعودي، التنبيه والأشراف، تح: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د، ت)، ص161.

[6] أنظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص431. بن خياط، تاريخ خليفة، ص460.

الغزوات بصاحب مجزرة زبطرة وأرسلوا رؤوس من معه إلى الخليفة المعتصم[1]، إلا أن الروم عادو سنة 225هـ/840م لتعقب أبا سعيد حيث هزموه واحتلوا على إثر ذلك ثغر الحدث ومرعش وأرض ملطية، ومن ثم أرسلوا وفدا يطلب المهادنة، فقام المعتصم بتقبله لما كان لديه من الثورات الداخلية[2].

وبعد انتهاء الواثق من عملية فداء الأسرى سنة 231هـ/846م، غزى أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي شاتيا حيث أصاب الناس الثلج والمطر، فهلكت نتيجة ذلك مائة نفس وأسر بعضهم، فعجز عن مواجهة الروم فرجع[3]، فقام الواثق بعزل سعيد بن مسلم سنة 231هـ/846م، نتيجة جبنه عن مواجهة العدو، وعين بدل منه نصر بن حمزة الخزاعي[4].

ومما سبق يظهر لنا مدى اهتمام خلفاء العباسيين الأوائل بتأمين مناطق الحدود والمدن الثغرية المجاورة للبيزنطيين بهدف حماية حدود الدولة ورد هجومات الروم عنها، وظهر هذا الاهتمام في بناء وتحصين المدن الثغرية وبناء المسالح والقواعد العسكرية المتنوعة وتزويدها بالرجال والمقاتلة والمتطوعة، وأحيانا كانوا يقومون بقيادة الحملات العسكرية بأنفسهم، حيث وصلت تللك الحملات إلى عمق الأراضي البيزنطية، إضافة إلى إرسال حملات الصوائف والشواتي بشكل منتظم.

---

[1] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والموك، ج9، ص12. مسكويه، تجارب الأمم، ج4، ص179.

[2] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص571، 572.

[3] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص340.

[4] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ص43.

الفصل الثالث: أوضاع الثغور في العصر العباسي الأول

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية

تنوعت مظاهر الحياة في مناطق الثغور بتنوع الجغرافيا والعرق والظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها، ونظرًا للخصوصية التي كانت تتمتع بها تلك الأماكن، فقد غلب على شكل الحياة فيها بعض الأمور التي لم تكن في غيرها، وبالتالي سنتطرق بذكر أبرز تلك الأوضاع والمظاهر والأحوال.

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

نتيجة للتنوع التضاريسي والمناخي في مناطق الثغور جعلها تتميز بمكانة اقتصادية مهمة، بالإضافة إلى توفر الكثير من المواد الخام اللازمة للصناعة، إما في المنتجات الزراعية أو الطبيعية، وبسبب موقعها المميز أصبحت ملتقى تجاري يربط بين الجهات الأربعة، وسلطتها على السواحل الشرقية للبحر الشامي، الذي كان يكتظ بالتجارات في ذلك الوقت، وبالتالي سنذكر أبرز وأهم مجالات الحياة الاقتصادية التي اتصفت بها مناطق الثغور:

أولا: الزراعة.

تعتبر الزراعة من بين أهم الحرف التي اهتم بها سكان المناطق الثغرية، وهذا راجع لوفرة المياه وخصوبة الأراضي التي كانت تمتاز بها، بالإضافة إلى جغرافيتها الطبيعية (من تضاريس ومناخ ومياه وخصوبة) أدت إلى تنوع الحياة الزراعية فيها، وهذا ما جعل أحد الجغرافيين بوصفها نزهة عامرة[1]، وقد اشتهرت هذه المدن الثغرية بوفرة مزروعاتها وبساتينها وذلك لإشرافها على جبل اللكام الذي وصف بأنه أعمر جبال الشام وأكثرها ثمارا[2].

كما اشتهرت مدينة بالس ببساتينها المنتشرة فيما بينها وبين الفرات[3] إضافة إلى مدينة سمسياط المشهورة بكثرة المزارع التي تسقى من نهر الفرات[4].

---

[1] مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، (د، ت)، ص175.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص190، 188.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص180.

[4] أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص76. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص651.

أما بالنسبة لكيسوم فقد أخذت اسمها هذا من كثرة أعشابها وحشائشها[1]، وهي مجاورة لحصن منصور من جهة الشمال وما يتبعه من قرى وضياع، الذي اشتهر بالخصب وكثرة الغلال والزروع التي تسقى من مياه الأمطار[2].

وقد اشتهرت مدينة ملطية أيضا بكثرة أشجارها وفواكهها وبساتينها الكثيرة[3]، واشتهرت طرسوس أيضا على ساحل البحر ببساتينها الواسعة وكثرة كرومها[4]، بالإضافة إلى أنها تشتمل من العمارة والخصب والغلات والأموال والسعة في جميع الأحوال، لدرجة لا يضاهيها في ذلك أي ثغر من ثغور المسلمين[5].

وبالنسبة لثغر المصيصة وكفربيا فقد امتازوا بأن لهما بساتين وزروع متصلة تسقى من نهر جيحان[6]، ثم يأتي ثغر أذنة إلى الغرب منها والتي اشتهرت أرضه بأنها خصبة عامرة[7] حسنة المحل في كل أصل وفصل[8] كما اشتهرت مدينتي الحدث ومرعش بكثرة الفواكه والزروع والأشجار[9].

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص497.

[2] أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص181. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص651.

[3] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص252. الإصطخري، المسالك والممالك ، ص62.

[4] أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص647. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص388.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص183.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م5، ص45.

[7] الإصطخري، المصدر السابق، ص63.

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص183.

[9] مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص575.

كما كان الزيتون من أبرز المزروعات التي اشتهرت بها هذه المناطق، لأنه كان يزرع في أغلب أراضيها، حيث تعتبر ثماره غذاءً للمقيمين فيها، وكان الفائض منها يباع بحسب سعره في تلك المواسم، وكان يصرف المتحصل من ثمنه في مهمات الثغور[1].

وكذلك كانت تزرع نبتة الفستق، والتي تعتبر من أقدم مزروعات البحر الشامي، بالإضافة إلى أنه يزرع في باقي مناطق الشام وتحديدا في حلب وما جاورها، حتى أنه ينسب إليها الفستق الحلبي، ولكثرة إنتاجه كان يباع رخيصا، ويحمل إلى مصر والعراق[2].

كما اشتهرت أيضا ثمرة الجوز التي كانت تنتشر أشجارها في الثغور، وخاصة في ملطية وفي الجبال التي تحتف بها، وهي مباحة لا مالك لها[3]، وكذلك تنتشر في الجبال المحيطة بسمسياط[4]، بسمسياط[4]، كما يكثر شجر الجوز بطرسوس حتى أن أحد حصونها سمي بحصن الجوزات، نسبة لكثرة أشجار الجوز فيها[5].

واشتهرت الثغور أيضا بزراعة النخيل، وخير مثال على ذلك أشجار النخيل الموجودة بعين زربة شمالي طرسوس، حيث وصف مناخها بأنه يشبه مناخ الغور[6]، ويضاف إلى ذلك اشتهار الثغور بزراعة العنب والتفاح والرمان، فقد كانت تزرع في بعض المدن الثغرية خاصة طرسوس التي اشتهرت بثمرة الرمان الكبير الحلو والحامض[7]، وكذلك في الجبال المحيطة بملطية وهي مباحة لا مالك لها[8].

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص181، 182.

[2] أنظر: الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص85. ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص60.

[3] أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص62.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص651.

[5] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص182.

[6] أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص182. الإصطخري، المصدر السابق، ص63.

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج6، ص284.

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص181.

وقد ابدى العباسيين الاهتمام بالزراعة في ذلك العصر مما ساعد على ازدهارها، حيث ان الخليفة المنصور قام بتعمير ملطية وذلك عن طريق زراعتها وأسكن فيها الجند وأقطعهم فيها المزارع[1]، ويتجلى الاهتمام بالزراعة بوضوح في عهد الخليفة هارون الرشيد، فقد كانت تستهويه المواضيع النزهة والمعمورة، وقام باستبدال مرج عبد الواحد قرب حصن منصور من حمي لخيل المسلمين إلى أرض زراعية[2]، زد على ذلك اهتمام الخليفة العباسي المأمون أيضا بالزراعة، الذي أمر قائده عبد الله بن طاهر باستحداث البساتين وتوفير المياه في حصن كيسوم، فقام عبد الله بن طاهر بزارعة مواضع كثيرة في مناطق الثغور، حيث أقام هناك لمدة أربعة سنوات واليا ومقاتلا[3].

اما بالنسبة للمعتصم ابدى هو ايضا اهتماما وحبا كبيرا للزراعة حيث قال عنها أمورًا محمودة أولها عمران الأرض والتي بها يحي العالم، وعليها يزكو الخراج وبالتالي تكثر الأموال ومنها تعيش البهائم وترخص الأسعار فيكثر الكسب ويتسع المعاش، بالإضافة إلى أنه أعطى لوزيره محمد بن عبد الملك الصلاحية الكاملة في زراعة أي موضع يراه مناسبا، وأن يقوم باستصلاحه دون الرجوع للخليفة أو استشارته، حيث كان يقول له:" إذا وجدت موضوعًا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني فيه بعد سنة أحد عشر درهما، فلا تؤمرني فيه[4].

ثانيا: الصناعة.

بالرغم من كل ما عايشته المدن الثغرية من اضطربات، إلا أنها اشتملت على نشاط اقتصاد مميز، وخاصة في مجال الصناعة ويرجع ازدهار هذه الأخيرة إلى توفر المواد الخام اللازمة للصناعة وكذلك لانتقال الخبرات إليها نتيجة الاحتكاك المتواصل مع بلاد الروم بحكم قربها منها، ويضاف إلى ذلك اهتمام خلفاء بني العباس بالصناعة.

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص256.

[2] أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص191. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص321.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص497.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج73، ص245.

وقد ازدهرت في المناطق الثغرية عدة صناعات، أبرزها صناعة النسيج والملابس نتيجة لتوفر المواد الخاصة بها وتحديدًا القطن والصوف والجلود، إضافة إلى ذلك توفر الخبرة وبعض العوامل المساعدة الأخرى، كالحرفة والصباغة والدباغة، والتي كانت تعتمد على الزعفران وطين المغرة[1].

وكانت أشهر الثياب تنسب لمدن الثغور مثل طرسوس، التي اشتهرت بصناعة الثياب المسماة ب" الشفايا" وكانت ذات جودة عالية[2]، كذلك المصيصة التي اشتهرت بصناعة الفراء، وكانت من الشهرة والجودة أن يصل ثمن الواحدة منها ثلاثون دينارًا[3]، وفي رصافة هشام اشتهر أهلها بصناعة الثياب، حيث كانوا ماهرين في عمل الأكسية، وكل رجالها فقراء كانوا أم أغنياء يعملون بغزل الصوف ونسائهم ينسجن[4]، وبرعوا أيضا في صناعة الجوالق والمخالي[5]، التي كانت تباع في سائر البلاد[6].

ومن بين الصناعات التي برزت أيضا صناعة الحبال، فقد كانت لها أهمية كبيرة في مناطق الثغور خاصة في طرسوس التي كانت بها زاوية تسمى سوق الحبالين، كما كانت الحبال المصنوعة تخدم في الغزو لاقتحام الأسوار وربط السفن وتوثيق الأسرى[7].

كما اشتهرت أيضا صناعة الورق، والذي بدأت صناعته في عهد هارون الرشيد، بعد أن أشار عليه وزيره الفضل بن يحي البرمكي بصناعة الكاغد، فتم صنعه وكتب عليه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، حيث بلغت الإجادة في

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص181.

[2] الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص99.

[3] أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص145. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص251.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص48، 47.

[5] الجوالق: هي الخروج التي توضع على ظهور الجمال والدواب، والمخالي: التي يوضع بها علف الدواب، أنظر : القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص198.

[6] نفسه.

[7] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص181.

صنعة درجة كبيرة[1]. ومن ثم اشتهرت صناعته في عدة مدن، كدمشق وطبرية ومنها ينقل إلى باقي البلدان[2]، ثم وصلت صناعته لمناطق الثغور، فأصبح يصنع في بعض الأبراج المقامة على سور طرسوس حيث كانت هناك أماكن مخصصة لعمل الورق والكاغد، والذي زاد في صناعته توفر نبات الأرز الذي يصنع الورق من قشرته[3]، وكذلك توفر مادة الزاج التي تدخل في تصنيع الاحبار المتوفرة في بلدة الجرجومة[4].

ومن الصناعات أيضا صناعة الصابون والتي اشتهرت بها مدينة بالس، حيث كان يعمل بها الصابون الكثير الغزير[5]، وساعدها في ذلك قربها من الرقة المشهورة بصابونها المعروف، ووفرة إنتاج الزيت في مدن الثغور[6]، بالإضافة إلى صناعة الفواكه المجففة ومن أبرزها صناعة الزبيب، الذي كان يصنع بكثرة في حلب وطرسوس وباقي الثغور[7].

ومن الصناعات التي برزت في مناطق الثغور صناعة الزجاج، وخير مثال على ذلك زجاج الشام الذي يضرب به المثل في الصفاء والرقة[8]، كما كانت حلب من أهم مراكز تصنيعه في بلاد الشام، حيث كان سوقه فيها من العجائب إذا مر به الشخص لا يريد مفارقته، لكثرة ما يرى من الطرائف العجيبة والآلات، التي تحمل إلى سائر البلاد للتحف والهدايا[9].

ونظرا لأن أهل الثغور تغلب عليهم الحياة العسكرية فهم على استعداد دائم للحرب، حيث يمتلكون أدوات ووسائل حربية، بالإضافة إلى بعض الثغور التي اشتهرت بصناعة الأسلحة

---

[1] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص 532.

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص180، 181.

[3] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص182.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، ص159.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص180.

[6] أنظر: المقدسي، المصدر السابق، ص145. كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص157.

[7] أنظر: ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص180. الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص99.

[8] الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ص532.

[9] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص184، 183.

اللازمة للجهاد والغزو، وكذلك تربية الخيول وتدريبها على الطراد وتجهيز مستلزماتها، فمثلا في مدينة المصيصة كانت تصنع عيدان السروج التي تشد على الخيول والدواب، والتي كانت تباع بثمن غالي نتيجة لجودتها[1]، كما لم يكن على وجه الأرض بلد يصنع فيه الحديد المخروز للكراسي، وباقي لوازم الخيل، كاللجم والمهاميز والعمد والدبابيس، كما يعمل في مناطق الثغور[2].

ثالثا: التجارة.

إذا نظرنا إلى الوضع الجغرافي لإقليم شمال الشام والجزيرة حيث تتواجد الثغور، لوجدناه يؤثر تأثيرا إيجابيا في النشاط التجاري سواء من الداخل أو الخارج، خاصة وأن التجارة قد نشطت واتسعت في المدن الثغرية نتيجة تطور الإنتاج الزراعي والصناعي فيها، وهذا ما أدى إلى ظهور فائق في الإنتاج مع وجود الأسواق وانتشارها، حيث تتسم المنطقة بموقع حساس على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب عموما، وعلى طريق التجارة المحلية بين العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر وغيرها[3].

كما ساعد نهر الفرات على تسهيل حركة البضائع والتجار لأنه يربط أعالي مناطق الثغور بالعاصمة بغداد، فعند وصول النهر إلى سمسياط بعد قدومه من الشمال حتى تحمل عليه تجارات الشام وما يرد من الثغور[4].

وقد أقيمت على الفرات الجسور التي تعمل على تسهيل عملية العبور منها: جسر منبج الذي تعبره القوافل القادمة من بلاد حران نحو الشام[5]، حيث كانت السفن والمراكب وهي تتحرك من خلاله جيئة وذهابا كأنها الجيوش المتقابلة، كما وصفها الصنوبري في ديوانه[6].

---

[1] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص179. الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص98.

[2] أنظر: ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص156، الحسن بن أحمد المهلبي، المصدر السابق، ص104.

[3] فتحي عثمان، الحدود البيزنطية الإسلامية، ج3، ص192.

[4] أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص650. ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص211. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص174.

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص391.

[6] ديوان الصنوبري، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998، ص 144، 143.

وبالرغم من العداوة والصراع الدائم بين الجانبين، إلا أن التجارات لم تنقطع بين بلاد المسلمين وبلاد الروم، لأن النشاط الاقتصادي قد استمر بين بلاد الشام وبيزنطة رغم تدهوره مع كثير من البلاد الأخرى في العصر العباسي الأول، والدليل على ذلك استخدام العملة النقدية الذهبية في ذلك التبادل، في حين كان يستخدم النقد الفضي في غيرها[1].

وبالنسبة لطرق التجارة فقد كانت تتنقل التجارات من وإلى بلاد الروم عبر الطرق والدروب التي تسلكها في الغالب الحملات العسكرية والصوائف، ولعل أبرزها الطرق البرية التي تتحرك من خلالها التجارة الداخلية داخل حدود الدولة الإسلامية قبل خروجها من مناطق الثغور، الطريق الذي يخرج من بغداد ثم البردان ثم تكريت ثم الموصل ثم الرقة ثم منبج ثم حلب أو دابق ثم أنطاكية ثم المصيصة وصولا إلى آخر نقطة في الشمال الغربي وهي طرسوس[2]، وتلك الطريق هي التي كانت تتحرك من خلالها الصوائف والشواتي اتجاه بلاد الروم، حيث أن المأمون سلكها سنة 215هـ/830م لغزو بلاد الروم[3].

ومن ثم تصبح حركة التجارة في حكم التجارة الخارجية، حيث تنتقل التجارة من آخر منطقة في الثغور لتعبر إلى الأراضي الرومية، إذ كان لها طريقين رئيسيين عدا الطرق الفرعية الأخرى فالطريقين الرئيسيين هما درب السلامة وهو أشهر الدروب، ومنه يمر حملة البريد والسفراء والوفود بين الجانبين[4]، ويقال له أيضا درب طرسوس ودرب المصيصة أو درب الأبواب القليقية، حيث كان مشهورًا قبل الفتح الإسلامي للشام ويبدأ من طرسوس حتى ينتهي بعمورية[5]، وهذا الطريق الذي سلكه الرشيد في غزوه لهرقلة، وكذلك سلكه المعتصم في غزوه لمدينة عمورية[6].

---

[1] أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د، ت)، ص 194، 195.

[2] أنظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص93. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص111، 113.

[3] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص623. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص564.

[4] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص166.

[5] ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص100، 101.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص320.

أما الدرب الآخر فهو في أقصى الشمال الشرقي من الثغور الشامية ويسمى درب ملطية أو درب مرعش[1]،حيث كانت تمر عبره العديد من الصوائف علما أنه أقل استخداما من درب السلامة بسبب وعورته[2]، وهو يبدأ من ملطية ومرعش عبر الحدث حتى يصل إلى بلاد الروم، مارا بعدد من الحصون الرومية[3].

ومن خلال هذه الدروب كانت تصدر أبرز المنتجات والبضائع من وعبر مناطق الثغور إلى البلدان المجاورة وخاصة بلاد الروم، ونتيجة لكثرة الأشجار في بلاد الشام والمتمثلة في أشجار الصنوبر والبلوط، أدى إلى كثرة مادة الخشب التي كانت تصدر إلى الخارج لاستخدامها في صناعة السفن والمراكب تحديدًا، حيث كان حصن التينات[4] فيه مجمع لأخشاب الصنوبر التي تنقل إلى سائر البلاد[5].

ولكثرة أشجار الزيتون التي كانت في المناطق الثغرية أصبح الزيت يصدر، حيث كان يباع في سائر بلاد الشام والجزيرة والعراق[6]، كما كان يصدر الملح الذي يتم استخراجه من سبخة الخيول ومن ثم ينقل إلى باقي مناطق الشام والجزيرة وغيرها من البلدان[7]، وكان يباع منه جزء كبير كل سنة بأموال عظيمة[8].

إضافة إلى القطن الذي كان يصدر ويزرع بكثرة في بلدان الثغور إلى أقاليم خارج بلاد الشام وإلى بلاد المغرب، وكذلك الثياب والمنسوجات القطنية تصدر إلى العراق ومصر عبر

---

1 أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص500. بن خياط، تاريخ خليفة، ص427.

2 الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص545.

3 أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص651. قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص192. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 108.

4 التينات: هو حصن منيع على شرف البحر ما بين المصيصة وبالس، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص646.

5 أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص39. الإصطخري، المسالك والممالك، ص63.

6 ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص70.

7 ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص272.

8 ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي، سورية، 1984، ص47.

طرسوس وغيرها[1]، إضافة إلى الملابس والفراء المصدر من المصيصة[2]، فمصنوعات تلك المدن اضافة لما تصنعه باقي المدن من ثياب كصور وعسقلان وغيرها كانت تصدر إلى مدن الشام والعراق وغيرها[3].

أما بالنسبة للواردات فقد اشهرت بلاد الشام نتيجة لموقعها المتوسط والذي يعد ممر للتجارات وبالتالي كانت تمتاز بكثرة النشاط التجاري، حيث يصب فيها كل ما كان يصدر فيها كل يصدر من بلاد المغرب و مصر وبلاد الروم و الأندلس[4].

ولعلى أبرز التجارات التي كانت تأتي إلى بلاد الشام وتحديدا الثغور هي تجارة الرقيق، الذي كان يجلب كأسرى خلال الصوائف والشواتي حيث كان ذلك السبي مضرب الأمثال[5]، بالإضافة إلى الرقيق المجلوب من بلاد الروم في النشاط التجاري عبر بحر الشام من خلال الموانئ في الثغور الشامية حيث كان يجلب إليها الجواري الروميات والخدم الصقالب[6].

كما كان يصل إلى مناطق الثغور معدن الزاج[7] من قبرص بالإضافة إلى الموجود في بلاد الجرجومة ثم يجهز منها إلى البلدان الأخرى[8]، بالإضافة إلى جلب الأغنام والدواب والعسل والشمع

---

1 أنظر: الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص99. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص180.

2 أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص145. ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص81. حسن بن أحمد المهلبي، المصدر السابق، ص104.

3 المقريزي، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1991، ج6، ص489.

4 مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص175.

5 الطبري، تاريخ الرسل والمماليك، ج9، ص142، 143.

6 ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص92.

7 الزاج: معدن أبيض له بصيص يستخرج من الحجارة في دباغة الجلود، وأصنافه كثيرة، يشبه مادة الشب ولكنه أكثر حموضة منها، كان يمزج مع مادة لزجة تشبه صمغ العفص ويكتب به، أنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، بغداد، 2001، ج 14-15، ص208، 256.

8 الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ،ص643.

والشمع واللوز والجوز وغيرها من التجارات وذلك من بلاد أرمينية وأذربيجان[1]، ومن أذربيجان أيضا كان يؤتى بالسمك المسمى الطريخ حيث يملح وينقل إلى مناطق الثغور والعراق[2].

كما اشتهرت أيضا تجارة البخور الذي كان يجلبه التجار من بلاد الروم حيث كانت تقام له سوق في السنة مرة في بند النطاليق، الذي تقع ضمنه مدينة هرقلة ما يلي الثغور الشامية[3].

اشتهرت مناطق الثغور بإنتشار الأسواق نتيجة لإزدهار حركة التجارة، والدليل على ذلك أنها لم تخل مدينة من مدنها من الأسواق، وأحسن مثال على ذلك ما تميزت به مدينة طرسوس والتي كانت كثيرة المتاجر وعامرة بالأسواق[4]، بالإضافة إلى بالس التي كانت مخزنا للبضائع القادمة من من الشرق عبر الفرات والآتية من الغرب عبر البحر، حيث كان بها عدد كبير من التجار الأغنياء[5]. ورصافة هشام كان أهلها أغنياء، تغلب عليهم الثروة والتجارة[6]، والقرى المحاطة بها فيها فيها أسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء[7]، وكذلك مدينة أذنة كانت ذات أسواق وصناعات وموارد وصادرات[8] ومدينتي المصيصة وكفربيا حيث تقعان على ضفتي نهر جيحان ولهما أسواق كثيرة[9].

كثيرة[9].

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص336.

[2] الإصطخري، المسالك والممالك، ص190.

[3] المسعودي، التنبيه والأشراف، ص151.

[4] أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص647. الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص97. ابن ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص179.

[5] كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص139.

[6] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص113.

[7] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص269.

[8] أنظر: مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص175. الحميري، المصدر السابق، ص20.

[9] أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص468. ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص183.

وأما مدينتي الحدث ومرعش فوصفتا بأنهما مدينتان لهما أسواق ويقصدان للتجارات والمنافع[1]. وثغر كيسوم فيه سوق ودكاكين وافرة[2]، وبلدة كمخ في منطقة الثغور والتي تقع على الفرات كانت حسنة المطلع وافرة المتاجر والصنع[3].

ولقد اهتم خلفاء بني العباس بالتجارة فقام المنصور بحفر نهر الفرات إلى بغداد لتمر فيه السفن المحملة ببضائع الشام والجزيرة والموصل[4]، وكذلك حفر نهر عيسى لمرور السفن المحملة بقمح الشام ومصر[5]، بالإضافة إلى الاهتمام بالأسواق وترتيبها وأيضا زيادتها كما فعل الرشيد بأسواق مدينة الرقة وغيرها[6].

1 الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ص652.

2 ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص497.

3 الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص112، 113.

4 الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط 1، القاهرة، 1960، ص383.

5 اليعقوبي، البلدان، ص35.

6 البلاذري، فتوح البلدان، ص180.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

لقد تميزت الخلافة العباسية بسياسة الإنشاء والتعمير، كما عملت على تنظيم حدودها مع البيزنطيين، ووضع الحاميات في مدن الثغور، وهذا ما دفعهم إلى توطين فرق من خراسان وغيرها في تلك المدن، وبذلك أصبحت مأهولة بالسكان المحليين من عرب وفرس وصقالبة ونبط وروم وعناصر من المجاهدين والمتطوعة، إضافة إلى من اتخذوا بها دورا ومنازل ينزلونها وقت مشاركتهم في الغزوات ثم يتركونها بعد ذلك[1].

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان مدن الثغور، خاصة بعد أن أصبحت تستقطب التبرعات المرسلة من طرف الخلفاء وتطوعات المسلمين، ومساهمتهم في جهاد العدو، كما تميزت بكثرة أوقافها وكثرة العقار فيها[2].

وقد غلب على هذه المدن طابع الجندية، مما جعل معظم المتجهين إليها من الجنود المرابطين والمحاربين جهادا في سبيل الله، كما كان الطابع العسكري هو السائد، خاصة أن جهود الدولة الإسلامية قد انصبت على تزويد المدن الثغرية بالمقاتلة المسجلين في الديوان[3].

وقد ظهر إلى جانب المجاهدين من أهلها المتطوعة، الذين شكلوا أهم عنصر من عناصر سكان الثغور، بحيث صبغوا النظام الثغري الإسلامي بطابع ديني، إضافة إلى الطابع الحربي الجهادي، وذلك لأنهم كانوا يبرزون بوجودهم فكرة خاصة وهي فكرة العبادة والرباط والجهاد والاستعداد لملاقاة العدو في أي لحظة[4].

---

[1] أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص60، 64. ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص180، 183.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص184، 184.

[3] الديوان: ظهرت فكرته في عهد عمر بن الخطاب، عندما فكر في التجنيد الإلزامي الموقوف للجهاد، فدون الديوان ورتب للمسلمين أرزاقهم السنوية، واقترنت نشأته بنشأة التجنيد النظامي الرسمي، وحددت للجنود النظاميين عطاياهم ورواتبهم من بيت المال، أنظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص489.

[4] جميل عبد الله محمد المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة العشرون، العددان السابع و السبعون و الثامن والسبعون، محرم–جمادى الآخر، المدينة المنورة، 1408هـ/ 1988م، ص112.

حيث حرص الخلفاء العباسيين منذ اللحظة الأولى التي تأسست فيها خلافتهم على تعزيز التواجد العسكري في الثغور، مع المحافظة على طابعها العسكري، وخير مثال على ذلك، ما فعله الخليفة أبو العباس بزيادته لقوات المصيصة بأربعمائة مقاتل[1].

حيث أن في عهد المنصور تم إسكان حوالي أربعة ألاف مقاتل من أهل الجزيرة ثغر ملطية، وزاد كل مقاتل عشرة دنانير، وقام بقطع الجند والمزارع[2]، إضافة إلى أن الخليفة هارون الرشيد قد أمر ببناء مدينة عين زربة وتحصينها، ليسكنها المرابطون حتى تعيينهم على المرابطة[3].

كما وغلبت على أهل الثغور فئة الشباب وذلك لقدرتهم على حمل السلاح والغزو وصد هجومات الروم، حيث تم وصف أهل المصيصة بأنهم فتيان فرسان ظرفاء[4]، وأهل طرسوس بأنهم مقاتلون شجعان[5]، وأهل الهارونية وصفوا بجهادهم الذي يعد في غاية الشطارة، إضافة إلى أهل حصن التينات الذين يتميزون بأنهم رجال أجلاد في القتال على علم بمواضع الخلل الموجودة في بلد الروم[6].

ونتيجة للعامل الطبيعي الذي يقوم على الامتداد والتنوع الجغرافي الكبير للثغور، سواء كانت برية أو بحرية، تكونت التركيبة الاجتماعية والبشرية في المناطق الثغرية من عناصر متعددة ومتنوعة، حيث لعب العامل البشري فيها دورا مهما، تمثل في التحولات السياسية الكبيرة التي قامت المنطقة بمعاصرتها على مدى عدة قرون، فقد روى البلاذري[7] عن هشام بن الليث عن أشياخه أنهم قالوا "نزلنا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم، ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام"، ولهذا السبب وصفت المدن الثغرية بأنها

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص116.
[2] نفسه، ص187.
[3] قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة، ص311.
[4] حسن بن أحمد المهلبي، المسلك والممالك، ص104.
[5] مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص 176.
[6] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص182.
[7] فتوح البلدان، ص120.

تحوي أخلاط وأعراق متنوعة من الناس، تكونت من سكان محليين وأقوام وفدت عليها في هجرات سواء خلال الفتوحات الإسلامية أو بعدها، وسنتطرق فيما يلي لأهم الأعراق التي ينتمي إليها سكان المدن الثغرية، وبالخصوص في فترة العصر العباسي الأول.

1- العرب (القبائل العربية):

زاد التواجد العربي في بلاد الثغور خاصة في العصر العباسي الأول، حيث تم إعمار الثغور وإسكان الناس بها، ومن ضمنهم جماعات كثيرة من العرب حتى غلب الطابع العربي على معظم تلك الثغور، وخير مثال على ذلك نذكر طرسوس التي كان يسكنها أقوام من قبيلة كندة[1]، إضافة إلى العرب الذين انتقلوا إليها في عهد كل من المهدي والرشيد والمأمون بعد إعادة السيطرة عليها من الروم[2]، وملطية سكنها بنو حبيب وقبيلتي قيس وأسد[3]، أما اللاذقية فأهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم[4].

2- الفهرس:

وهم الذين جاؤوا من خراسان تواجدوا في بلاد الشام وسواحلها حيث تقع الثغور، كما ساهموا في الكثير من الوظائف، وهذا ما دفع الدولة العباسية إلى الاعتماد على العنصر الفارسي كثيرا نظرا لكثرة وجودهم في أقاليمها، فسميت بذلك الدولة الأعجمية، حيث أنه لما تم إعمار المدن الثغرية جرى إنزال الجنود والخراسانيين فيها، كما قام المنصور بنقل أعدادا من الفرس إلى مدينة

[1] محمد كرد علي، خطط الشام، ج1، ص27.

[2] أنظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص320. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ج1، ص194. جميل عبد الله محمد المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص109، 110.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص178.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص162.

المصيصة بعد أن بناها، إضافة إلى أنه أعطاهم خططًا عوضا عن منازلهم وأعانهم على البناء[1].

وفي عهد الرشيد تمت أوسع عملية إسكان للفرس في المدن الثغرية خاصة بعد بناء طرسوس، حيث قام أبو سليم فرج بن سليم الذي كلف بإعمار المدينة بالتوجه إلى بغداد، وندب إليها ندبتان الأولى ثلاثة ألاف من أهل خراسان، والثانية ألفين من أهل المصيصة وألف من أنطاكية، حيث زاد في عطائهم وأقطعهم الخطط[2]، وبذلك أصبحت المدينة تحوي أخلاطًا كثيرة ومتعددة من السكان من شتى البلدان[3].

ولما أمر الرشيد ببناء عين زربة ندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم، وأقطعهم بها المنازل[4] إضافة إلى أنه بعد أن تولى أبو سليم بناء أذنة ندب إليها رجلا من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء[5]. وهكذا غلب على المدن الثغرية وجود أولاد خراسان (الفرس) بها، بالإضافة إلى أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان[6].

3- الزط (الغجر):

وهم شعوب البانجاب، أصلهم هنود من بلاد السند شمال غرب الهند وهم من جبل أسود تنسب إليهم الثياب الزطية[7]، حيث تمت أكبر عملية إجلاء لهم في العهد العباسي على يد المعتصم وذلك بعد أن غلبوا على البطائح[8] وعاثوا فيها فسادًا، كما قاموا بنهب الغلات من البيادر البيادر في نواحي البصرة فقرر المعتصم التصدي لهم وإنهاء أمرهم، فأرسل إليهم سنة 219هـ/834م القائد عجيف بن عنبسة الذي قام بمحاصرتهم وضيق عليهم منافذ الأنهار حتى

---

1 ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص157.

2 البلاذري، فتوح البلدان، ص170.

3 ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص179.

4 ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص178.

5 أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ص169. ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص170.

6 أنظر: الحسن بن أحمد المهلبي، المسالك والممالك، ص98. ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص186.

7 ابن منظور، لسان العرب، م7، ص308.

8 البطائح: هي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديما قرى متصلة وأرضًا عامرة، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م1، ص450.

استسلموا، ومن ثم نقلهم بواسطة السفن إلى بغداد، حيث كان عددهم يقارب الثلاثين ألفًا، ثم أمر بنقلهم بعد ذلك إلى مناطق الثغور وإلى عين زربة تحديدًا[1]، وهناك اندمجوا مع أهلها حيث انتفع الناس بهم كثيرًا[2] وظلوا هناك حتى أغارت الروم على عين زربة وأسرت من كان بها من الزط نساء وأطفال وبهائم وكان آخر العهد بهم فيها[3].

4- الجراجمة (الأكراد):

وهم قوم يدينون بالنصرانية، كان يطلق عليهم لفظ "علوج الشام"[4] وكانوا يسكنون مدينة يقال لها لها الجرجومة[5]، على جبل اللكام[6] حيث يعد الجراجمة أحد العناصر السكانية التي كان لها دور مهم في مدن الثغور، كما كانوا في الوقت الذي سيطرت فيه الروم على الشام تابعين لبطريق أنطاكية وواليها[7].

كانت تتم الاستعانة بهم في العهد العباسي في مواطن كثيرة، وقد كانت تجرى عليهم الجرايات وتعرف منهم المناصحة[8]، كما ألزمهم بعض العمال العباسيين بدفع الجزية، فقاموا برفع ذلك إلى الخليفة الواثق بالله الذي أمر بإسقاطها عنهم، وفي عهد الخليفة المتوكل أمر بأخذ الجزية منهم وأن يجري عليهم الأرزاق، إذا كانوا ممن يستعان بهم في المسالح وغير ذلك[9].

---

[1] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص8. بن خياط، تاريخ خليفة، ص476.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص178.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص201.

[4] ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص93.

[5] الجرجومة: مدينة على جبل اللكام بالثغر الشامي فيما ما بين بياس وبوقا قرب أنطاكية، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص123.

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص159.

[7] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص231.

[8] ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص123.

[9] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص233.

وهكذا شكلت العناصر السكانية المختلفة في مناطق الثغور مجتمعا متميزا، تمثلت فيه مختلف أجناس الناس وألوانهم، وبالرغم من هذا التنوع العرقي فقد حاول الخلفاء العباسيون في ذلك العصر دمج تلك القوميات في نسيج المجتمع الإسلامي.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية

بعد سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس انتقلت الخلافة من دمشق إلى بغداد ، إلا أن الحركة العلمية لم تتأثر بذلك، فواصلت بلاد الشام مسيرتها العلمية، وتجلى ذلك في ازدهار العلوم وخاصة الشرعية منها، من فقه وحديث وتفسير وقراءات وغيرها، وقد امتازت الشام بشكل عام بكثر الفقهاء والمحدثين والعلماء من المنسوبين إلى دمشق وغيرها.

وكان سبب توجه أهل العلم والتقوى والعبادة إلى مناطق الثغور، هو الرغبة في تحصيل أجر الانقطاع والانعزال والرباط والجهاد في سبيل الله، ذلك الأجر الذي جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والذي رواه عنه أبو الدرداء مرفوعا حيث قال: "أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط، ومن احتل منها ثغرًا من الثغور فهو في جهاد"[1]. وأخذ الحديث عن رجاله وحفاظه المتواجدين في تلك الثغور، ما جعلها دار هجرة لطلبة العلم والحديث.

نظرًا للاستقرار السياسي واقتصار الأمر على حملات عسكرية محدودة، شهدت الحركة العلمية ازدهارًا واضحًا في العصر العباسي الاول، فقام الخلفاء العباسيين بصب جل اهتمامهم في العلم، كما أن جزء كبير من الأموال التي كان من المفروض أن تخصص لتمويل الحملات العسكرية قد تم تحويلها إلى رعاية الحركة العلمية[2].

---

[1] سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994، ج10، ص60.

[2] مفتاح يونس الرباصي، المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، منشورات جامعة 6 أكتوبر، مصر، ص57.

ومن اهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مناطق الثغور هي: إقامة عدد كبير من المحدثين والعلماء وانتشارهم في أغلب الثغور الشامية من ملطية في أقصى الشمال الشرقي، مرورا بالمصيصة وأذنة إلى طرسوس في أقصى الشمال الغربي، والتي ينسب إليها جماعة من العلماء يفوت حصرهم، انتهاء بثغور ساحل بحر الروم حيث تنتشر الثغور الشامية[1].

كما يعتبر دخول الورق وازدهار صناعته مع بداية العصر العباسي واستخدامه في الكتابة، من بين أحد العوامل التي ساعدت على تطور الحركة العلمية فقد أنشأ الفضل بن يحي البرمكي مصنعًا للورق في عهد الرشيد ببغداد، فانتشرت الكتابة فيه لخفته بعد أن كانوا يكتبون على الجلود، ثم أصبح الورق يصنع أيضا في بعض مدن الثغور كطرسوس والتي احتوت عدة أماكن لصناعة الورق والكاغد وهذا ما ساعد في تدوين العلوم، بالإضافة إلى ظهور دور الوراقين وهي الدور التي تختص في بيع الكتب واستنساخها، مستغلين بذلك توفر الورق اللازم للكتابة[2].

وقد كان لعملية استنساخ الكتب، دورا كبيرا في ظهور المكتبات الخاصة في دور الخلفاء والأمراء والعلماء، وقد اشتهر بعض علماء المصيصة ومحدثيها بالإضافة إلى غيرها من الثغور باستنساخ الكتب فيما بينهم، حتى أن بعضهم لقب بهذه المهنة مثل نزيل الثغور المحدث سعيد بن نصير البغدادي الوراق والذي قام بتأليف عدة كتب منها: العوابد والبكاء وكتب في الرقائق[3]، والمقرئ عبد الرزاق بن الحسن الأنطاكي الوراق[4]، وهم من الذين عاصروا العصر العباسي الأول.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م4، ص29.

[2] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص181. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص592. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 180، 181.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1990، ج 19، ص256.

[4] نفسه، ج22، ص195.

ضف إلى ذلك ازدهار حركة الترجمة والنقل التي تخصصت في العلوم العقلية[1]، والتي برزت بشكل واضح في الثغور، حيث اهتم الأمراء والميسورون بتشجيع العلم والإنفاق على الترجمة في اللغة العربية، وقد كانوا ينفقون أموالا ضخمة في ترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والنجوم وغيرها، وقد اشتغل كثير من المسلمين بدارسة الكتب التي ترجمت إلى العربية، وتفسيرها والتعليق عليها، وتصحيح أخطائها، وقد كانت مدينة حران المتاخمة لثغور إقليم الجزيرة، ومن برز فيها من علماء خير مثال على ذلك[2].

ومن أبرز أشكال الحياة الثقافية والعلمية في مناطق الثغور في ذلك العصر، هي ازدهار مجالس العلم التي كان يعقدها الخلفاء والأمراء والعلماء والمحدثين والفقهاء للتباحث في أمور الدين والدنيا، والمشاورة في أمور الغزو أيضا، وذلك أثناء مرورهم بالمدن الثغرية خلال تحركهم لغزو بلاد الروم، كما فعل الخليفة هارون الرشيد عندما تحرك لغزو هرقلة اصطحب معه شيخا الثغور الشامية أبا إسحاق ابراهيم الفزاري، ومخلد بن الحسين، وقد كان يستشيرهم في أمور غزو هرقلة[3].

بالإضافة إلى مجالس المناظرات التي كانت تتم بين العلماء في مجالات الفقه وغيرها من العلوم الشرعية، كتلك التي كان يعقدها شيخ علماء الشام في حينه الامام الأوزاعي[4]، مع علماء

---

[1] العلوم العقلية: ميز علماء المسلمين بين نوعين من العلوم الأول: العلوم النقلية، وهي العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم، وتشمل علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام والنحو، واللغة والبيان والأدب، والثاني: العلوم العقلية، وهي العلوم التي أخذها العرب من غيرهم من الأمم، وتشمل الفلسفة والهندسة، وعلم النجوم والموسيقى والطب، الكيمياء والتاريخ والجغرافيا، أنظر: أبو رحمة، زهير عبد الله سعيد، الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي 132-491هـ/750-1097م، (رسالة ماجستير)، الجامعة الاسلامية غزة، 2006، ص112.

[2] أنظر: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، ط1، القاهرة، (د، ت)، ص334. أبو رحمة زهير عبد الله، المرجع السابق، ص112.

[3] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص593.

[4] الأوزاعي: هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ولد في بعلبك بلبنان عام 88هـ/ 707م وأخذ العلم في الكرك ثم استقر في بيروت مرابطا ومكتتبا في ديوان الساحل، وقد اختار بيروت لما كان يمثله من نزل بها من زهد وعبادة وتواضع، وكان عالما وفقيها ومفتيا للجند في العصر الأموي، ويبقى كذلك في العهد العباسي، حتى توفي في بيروت سنة 157هـ/ 774م واجتمع للصلاة عليه مالا يحصى عددهم ما دفع الكثير من أهل الذمة لإعلان إسلامهم. أنظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تح: الشيخ

وفقهاء عصره كسفيان الثوري وغيره. وقد سافر إلى الحجاز حيث عقد مع الإمام أنس بن مالك مناظرة في أبواب العالم المختلفة[1].

وكذلك الندوات العلمية التي كان يعقدها الولاة العباسيون مع من اشتهروا برواية الحديث وحفظه من العلماء، والذين عجبت بهم بلاد الشام في ذلك الوقت، كالتي عقدها والي الشام إسحاق بن ابراهيم مع أحمد بن أبي الحواري[2]، وغيره من شيوخ وكبار الزهاد[3].

ويضاف إلى ذلك المناظرات الشعرية والجلسات الأدبية، حيث كان الشعراء من أهل الشام ينشدون القصائد في حضرة الخليفة أو الوالي، كالقصيدة التي ألقاها الشاعر أبي تمام[4] في حضرة المعتصم، بعد أن انتصر على الروم في عمورية[5].

ومن أشكال الحركة العلمية أيضا مهنة التعليم والتأديب التي ظهرت في العهد الأموي واستمرت في العهد العباسي، حيث تقوم تلك المهنة على تعليم العامة شؤون دينهم، وقد وصف الإمام الفزاري بأنه أدب أهل الثغر وعلمهم السنة[1].

شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1981، ج7، ص107، 127. بن زيد الدمشقي، محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمور الأوزاعي، تح: الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، مصر، (د، ت)، ص89.

[1] أنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج35، ص170. عبد الستار الشيخ، الإمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، دار القلم، ط1، دمشق، 2006، ص246، 245.

[2] اسحاق بن ابراهيم: أحمد بن ابي الحواري بن عبد الله الميمون الثعلبي، الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام أحد الأعلام أصله من الكوفة ، ولد سنة 174هـ/848م وكان ولده صالحا عابدا، أنظر: بن عساكر، تاريخ دمشق، ج71، ص245. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1980، ج16، ص373.

[3] ابن عساكر، المصدر السابق، ج71، ص245، 247.

[4] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: ولد ونشأ في قرية جاسم بأرض حوران، من الشعراء الفحول في الشعر العربي، شاع ذكره حتى بلغ المعتصم خبره فاستقدمه إلى مدينة سر من رأى، وقربه وقدمه على شعراء عصره، وقد مدح المعتصم في عدة قصائد أبرزها قصيدته في غزوة عمورية حيث كان مرافقا للمعتصم في الغزوة سنة 223هـ/838م، وتوفي سنة 231هـ/846م، أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص299. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: احسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1994، ج2، ص11.

[5] أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج5، ص97. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004، ص60.

وقد كانت هذه المهنة مصدر رزق للعديد من الأدباء، ففي عهد المنصور كان يمنح معلم العامة ومؤدبها رزق يتراوح ما بين دينار وثلاثة دنانير، وكذلك تعليم وتأديب أولاد الخلفاء والأمراء وأبناء الخاصة على العديد من المعارف في ذلك العصر، والتي كان أبرزها تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، وإجادة اللغة العربية والشعر والمغازي والأخبار، فقد قام الكسائي[2] بتأديب الرشيد ثم الأمين، فأمر له الرشيد بجارية وعشرة ألاف درهم وخادم وراحلة[3]، وكان عطاء راتب أبناء الأعيان أقل من ذلك بكثير، حيث أجرى عبد الله بن طاهر على معلم ولده يعقوب بن السكين والذي كان يؤدب أبناء العامة أيضا[4].

وقد اهتم الولاة والأمراء والقادة والتجار بتعليم أبنائهم وتربيتهم وتأديبهم، حيث كان يوكل ذلك لبعض العلماء والفقهاء، حتى أن لقب المؤدب اقترن بأسماء بعض العلماء، كما فعل ثابت بن نصر الخزاعي والي الثغور الشامية مع ابنه، حيث أوكل تأديبه للمؤدب الإمام عبيد القاسم بن سلام وولاه مقابل ذلك ولاية طرسوس[5].

كما وقد نشطت حركة حفاظ الحديث في المناطق الثغرية في عهد بني أمية، حيث اشتدت عناية أهل الثغور وطلاب العلم بعلم الحديث، فأخذوا يجمعون الأحاديث في كتب ويحفظونها[6] كما بدأت حركة تدوين الأحاديث والعلوم الأخرى رسميا سنة 143هـ/760م[7].

---

[1] أنظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج7، ص126. أبو العرب، المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، ط1، السعودية، 1984، ص379.

[2] الكسائي: هو علي بن حمزة الكسائي استقدمه الخلفاء العباسيون إلى بغداد ليعلم أبناءهم، وقدمه البرامكة ورفعوا شأنه، ويعد أحد الأئمة في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة، ومن رواة الحديث، ألف كتبا عدة في: النحو والقراءات، لم يصلنا منها إلا رسالة له في لحن العامة مات بـ: " الري" سنة 189هـ/809م، أنظر: الدينوري، المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992، ص545.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص295.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج18، ص552.

[5] الدينوري، المصدر السابق، ص549.

[6] أبو رحمة، زهير عبد الله سعيد، الحياة العلمية في غزة وعسقلان، ص86.

[7] الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص775.

تم تطور علم الحديث في العصر العباسي، فكثر بذلك المحدثون وانتشروا في الثغور فأصبحت الثغور قبلة لعلماء الحديث، نتيجة لرباط عدد كبير من المحدثين بها، ومن أبرز من قصد الثغور من كبار علماء الحديث الشريف، للأخذ من محدثيها شعبة بن الحجاج[1]، والذي يعتبر إماما في الحديث، وقد قال عنه المحدث المعروف سفيان الثوري " أمير المؤمنين في الحديث ومات الحديث بموته"، وقال عنه الإمام الشافعي " لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق[2].

كما وزار الثغور المحدث والإمام سفيان الثوري[3] والذي كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث والتقي بالزاهد ابراهيم بن أدهم[4]، وكذلك زارها عبيد الله بن عبد الكريم أبو زرعة الرازي والذي روي عنه أنه حفظ سبعمائة ألف حديث، منها عشرة ألاف حديث في القرآن والذي قال عنه الإمام أحمد "كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل"[5].

بالإضافة إلى علم الحديث، فقد ازدهرت في تلك الفترة أيضا علوم القرآن الخاصة بالقراءات[6] والتفسير، ففي السابق لم يكن العرب بحاجة إلى التفسير والقراءات لأن القرآن نزل بلغتهم، أما في بداية العصر العباسي ومع دخول أعاجم كثيرين كالفرس وغيرهم في الإسلام أصبحت هناك حاجة ماسة لتلك العلوم، فمن ناحية لمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول

---

[1] شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بسطان العتكي البغدادي ولد سنة 182هـ/798م، نشأ بمدينة واسط في العراق وطل بعلم الحديث في مختلف المدن الإسلامية، حتى أصبح إماما فيه، وله ألف حديث توفي سنة 264هـ/877م، أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2002، ج10، ص353.

[2] ابن المبرد الحنبلي، تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، دار النوادر، ط1، سوريا، 2011، ص117.

[3] هو أبو عبد الله بن مسروق الكوفي، ولد سنة 97هـ/715م في الكوفة، وتوفي في البصرة سنة 161هـ/777م وصفه الإمام النووي بأنه أحد أصحاب المذاهب الستة هو والأوزاعي بالإضافة إلى الأئمة الأربعة المشهورين، أنظر: الدينوري، المعارف، ص497. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص224.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص389.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج38، ص23.

[6] القراءات: سجل العلماء القراءات الصحيحة المقبولة وهي عشر قراءات منسوبة لأئمتها القراء وهي: قراءة نافع، وقراءة عصام، وقراءة الكسائي، وقراءة حمزة، وقراءة أبي عمرو، وقراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف، وقراءة ابن كثير، أنظر: الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم، ط1، دمشق، 2007، ص53.

ومقاصد الآيات، ومن ناحية أخرى لمعرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب[1].

كما اشتهر علم الفقه بشكل كبير وكانت له مدرستان الأولى: مدرسة أهل الرأي والقياس ظهرت في العراق مؤسسها أبو حنيفة النعمان، وخلفه أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن الحسن الشيباني، والثانية: مدرسة أهل الحديث والتي تعتمد على الكتاب والسنة ظهرت في الحجاز مؤسسها مالك بن أنس، ثم جاء الإمام الفقيه محمد الشافعي وجمع بين المدرستين[2].

وأبرز من اعتنى بالفقه في بلاد الثغور، وكان له حضور واضح فيها الامام أحمد بن حنبل الذي استقر بثغر طرسوس لفترة من الزمن[3]، وكذلك الإمام الأوزاعي الذي استقر في ثغور الشام[4]. الشام[4]. وهما من أئمة الفقه الستة وغيرهم كثيرون حيث عجت الثغور الشامية بالعلماء والمحدثين العباد والزهاد، الذين سكنوا تلك البلاد لارتباطها بجهاد العدو، وقد ارتكزت إقامة هؤلاء العلماء في عدة مدن أهمها طرسوس في أقصى الشمال الغربي على حدود الروم، حيث نسب إليها عدد من العلماء يصعب حصرهم[5]، والمصيصة إلى الشرق منها وكذلك أذنة، وسبب ذلك قرب تلك الثغور لبلاد العدو، وكذلك المكانة الدينية لها والأحاديث التي وردت في فضل المرابطة بها، ولا يعني ذلك خلو باقي الثغور من العلماء ولكن بنسب أقل.

ومن أبرز العلماء الذين برزوا في الثغور الإمام الأوزاعي، الذي كان يعد من أشهر علماء الشام وكان من حفاظ القرآن الكريم[6]، حيث كان مذهب الأوزاعي هو المذهب الوحيد السائد والذي

---

1 أبو رحمة زهير عبد الله سعيد، الحياة العلمية في غزة وعسقلان، ص83.

2 أنظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص564.

3 أنظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ط1، مصر، ج2، ص30، 31. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص212.

4 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص107.

5 ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4م، ص29.

6 السمعاني، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وغيره، دائرة المعارف العثمانية، ط1، الهند، 1962، ج1، ص388.

كان يستند على الفقه و الإفتاء إلى القرآن الكريم، ثم السنة النبوية وأقوال الصحابة مع نبذ الرأي والبدع، لذا يشار لعدد من مدن الثغور إلى أن أهلها على مذهب السنة الذي يسمى أحيانا بمذهب أهل الشام، حيث يعتبر من أكثر المذاهب استقامة، وعلى هذا سارت أغلب المدن الثغرية إلا من تخصص أو تشيع[1].

وقد أدرك خلفاء بني العباس ما للأوزاعي من قيمة وتأثير في مناطق الثغور خاصة وبلاد الشام عامة، فعملوا على التقرب منه والتودد إليه، وكثيرا ما كان الخليفة المنصور يخطب وده حيث كتب إليه رسالة طلب منه فيها أن يكون له ناصحا، فلبى الأوزاعي ذلك وكان يرسل إليه الرسائل في شؤون المسلمين[2]، ومن أبرز تلك الرسائل أنه حينما رغب امبراطور الروم في فداء الأسرى، وأبى المنصور ذلك ، كتب إليه الإمام الأوزاعي رسالة شديدة اللهجة بالمبادرة في الفداء فنزل المنصور عند كتاب الأوزاعي، وجرى الفداء واستحق الأوزاعي منذ ذلك الوقت لقب "عالم الأمة"[3].

كما قام في مناطق الثغور المحدث والفقيه عبد الله بن المبارك[4]، الذي مكث بثغري المصيصة وطرسوس غازيا لعدة سنين، ولازم المتصوفة وجالسهم بالرغم من أنه لم يظهر تبنية لمنهجهم، وكان يرافقه مجموعة من تلاميذه وأصحابه ويغزون معه في بلاد الروم[5]. وقد مارس عبد

---

[1] أنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص60. الحسن بن احمد المهلبي، المسالك والممالك، ص65، 86.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9، ص488، 496.

[3] جميل عبد الله محمد المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص108.

[4] عبد الله بن المبارك: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، ولد بمدينة مرو، مكث فيها 20 عاما يتعلم القراءة والكتابة والعلوم الأخرى، رحل إلى مصر والشام والحجاز والعراق طلبا للعم، كما قصد الثغور الشامية طلبا للأجر والرباط والغزو والتجارة، كان مضحيا بماله ونفسه في سبيل الله، عده البعض من خيرة علماء الأمة وصفه الفزاري بأنه إمام المسلمين أجمعين، وقال عنه الإمام أحمد "لم يكن أحد في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه"، وكان يغزو عاما ويحج عاما، له عدد من المؤلفات أهمها نفير القرآن وكتابة التاريخ والزهد، مات سنة 181هـ/ 797م، وهو عائد من غزو طرسوس ودفن في المدينة هيث بالعراق، أنظر: القنوجي، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر، 2007، ص44. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج16، ص18.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج4، ص882.

عبد الله ابن المبارك الجهاد وبرع فيه[1]، كما أنه لعب دورا كبيرا في تحريض الناس على الغزو والجهاد والنفرة إلى الثغور، وعاب عليهم الركون إلى التعبد والرهبنة حتى في مجاورة الحرمين على الرغم من مثواها، وفي رسالته الشهيرة للفضيل بن عياض، ما يوحي بذلك والتي كان مطلعها: يا عباد الحرمين[2].

ولقد كان الخليفة هارون الرشيد يعتبره مرجعا في معرفة الأحاديث الصحيح منها والموضوع، فقد أخذ الرشيد ذات يوم زنديقا فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق: لما تضرب عنقي؟ قال له الرشيد أريح العباد منك، قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله كلها ما فيها حرف نطق به؟ فقال له الرشيد بلغة الواثق: فأين أنت يا عدو الله من أبي اسحاق الفزاري وعبد الله ابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا[3].

كما وبرز في مناطق الثغور الإمام أبي إسحاق الفزاري[4]، وهو من كبار المحدثين والذي وصف بأنه صاحب سنة، قام بتأديب أهل الثغور وعلمهم السنة، وكان إذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه[5].حيث كان الإمام الفزاري يسكن المصيصة مرابطا في سبيل الله حتى توفي بها وزاره وجالسه كل من الإمام عبد الله بن المبارك والعابد الزاهد ابراهيم بن أدهم، وقد روي عنه خلق كثير

---

[1] أورد الذهبي عن عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابن المبارك بطرسوس فصاح الناس النفير، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رومي وطلب البراز، فخرج إليه رجل فشد العلج على المسلم فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد فالتفت إلى ابن المبارك وقال: يا فلان إن حدث بي الموت فافعل كذا وكذا، وحرك دابته وبرز للعلج فقتله حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز قال: فكأنهم خافوا منه فضرب دابته، وطرد بين الصفين، وغاب فلم نشعر بشيء إذ أن بابن المبارك في الموضع الذي كان فقال لي: يا أبا عبد الله لئن حدثت بهذا أحدا وأنا حي وذكر كلمة، أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج12، ص232.

[2] نفسه، ج4، ص882.

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، القاهرة، 2004، ص216.

[4] أبي إسحاق االفزاي: هو ابراهيم بن محمد بن الحارث أبو إسحاق الفزاري، الإمام الكبير الحافظ شيخ المجاهدين، وحدث عنه الأوزاعي والثوري وابن المبارك، قال العجلي: كان أهل ثقة صاحب سنة صالحا، وكان كثير الحديث وكان له فقه، كان الأوزاعي يقول عنه: حدثني الصادق المصدوق، صنف الفزاري كتابا سماه السير وقد نال ثناء جمع من الأئمة، وعلى رأسهم الشافعي إذ قال: لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق توفي سنة 186هـ/802م، أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص539.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج7، ص126.

من صغار التابعين، وروى عنه أبي سفيان الثوري وكذلك الإمام الأوزاعي، وكانوا من شيوخه حدث في دمشق وفي كثير من الثغور، حيث وصف بأنه رجل ثقة صالح صاحب سنة وكثير الحديث، وقد قصده طلاب الحديث للنقل عنه كالفضل بن عياض وغيره[1]، ومن شدة ثقة الخليفة هارون الرشيد فيه استشاره في غزوة هرقلة من بلاد الروم سنة 191هـ/807م وهوا لمحدث مخلد بن الحسين[2].

زد عن ذلك أنه أقام في الثغور عدد من الزهاد الذين انشغلوا بالعبادة والجهاد وتركوا الدنيا خلف ظهورهم، مثل الزاهد ابراهيم بن أدهم بن المنصور البلخلي[3]، الذي انتقل من بلخ[4] إلى الشام، وكان يتردد كثيرا على بيت الإمام الفزاري بالمصيصة[5]، ثم انتقل للمرابطة ورابط في ثغر طرسوس[6] وكان كباقي الزهاد يردد الغزو لبلاد الروم، حيث كان يفضل الغزو ماشيا على قدميه فلا يركب فرسا[7]، توفي في الثغور ودفن في حصن سوقين ببلاد الروم على ساحل البحر الشامي[8].

1 ابن الجوزي، صفة الصوفة، تح: الشيخ خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ص836.

2 الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص593.

3 ابراهيم بن ادهم بن منصور الزاهد أبو اسحاق: أصله من بلخ انتقل إلى الشام طلبا للحلال فأقام مرابطا وغازيا، وله صفات جمة، توفي في بلاد الروم سنة 161هـ/ 778م، أنظر: ابن حبان، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، الهند، 1973، ج6، ص24.

4 بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، كانت تسمى الإسكندرية قديما نسبة إلى الإسكندر والذي قيل أنه بناها وينسب إليها خلق كبير أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص479.

5 ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج8، ص320.

6 الذهبي، تاريخ الاسلام، ج4، ص289.

7 نفسه، ج4، ص296.

8 ابن عساكر، المصدر السابق، ج4، ص349.

كما مكث بها المحدث الفضيل بن عياض الذي انتقل إلى المصيصة وهو يقول: اشتقت إلى المصيصة ما بي فضل الرباط، إلا لأرى أبي إسحاق الفزاري[1]، وهو الذي لقبه عبد الله بن المبارك في قصيدته المشهورة "عابد الحرمين" والتي كان هذا مطلعها[2].

يا عابدا الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
وريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صدوق صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في	أنف أمرئ ودخان نار تلهب

[1] أنظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص836. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج7، ص125.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص882.

الفصل الرابع: دور الثغور في العصر العباسي الأول

المبحث الأول: الدور السياسي

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي

المبحث الثالث: الدور الأمني والعسكري

المبحث الرابع: الدور الثقافي

الفصل الرابع: دور الثغور خلال العصر العباسي الأول

سنتطرق في هذا الفصل إلى الدور الذي لعبته الثغور في فترة العصر العباسي الأول والذي يمتد ليشمل جميع المجالات نذكر منها: المجال السياسي والاقتصادي والمجال الأمني والعسكري والثقافي.

المبحث الأول: الدور السياسي.

بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/780م انتقل الحكم لبني العباس، الذين ورثوا دولة مترامية الأطراف وورثوا معها عدو لدود بني جزءًا كبير من أملاك تلك الدولة على أملاكه، حيث كانت منطقة الثغور جزءا مهما من أملاك البيزنطيين انتزعت منهم على يد الجيوش الإسلامية الفاتحة، وأصبحت تلك المنطقة تابعة للدولة الإسلامية[1].

وفيما يلي سنتعرف على الدور السياسي الذي لعبته هذه المنطقة والتي كانت محل صراع بين الطرفين.

1- الصراع الأموي العباسي في منطقة الثغور:

شهدت مناطق الثغور العديد من الصراعات المسلحة بين الدولة الأموية الراحلة وبين دعاة الدولة العباسية الجديدة، حيث كانت الثغور الشامية مسرحا لأحداث نهاية الدولة الأموية.

لما تولى أبو العباس السفاح خلافة الدولة العباسية، كان من واجبه القضاء على النفوذ الأموي في بلاد الشام، وذلك بالتخلص من آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد وجيشه، ففي جمادى الأولى سنة 132هـ/سبتمبر سنة 749م أرسل الخليفة السفاح جيشا بقيادة عبد الله بن علي نحو موقع الزاب، أين يستقر مروان وجيشه الذي بلغ حوالي مائة وخمسين ألفا من فرسان الشام

[1] عمر يحي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية، ص21.

والجزيرة، وهناك بدأت المعركة بينهما حيث استطاع عبد الله بن علي هزيمة مروان بن محمد[1] الذي هرب بعد ذلك إلى الموصل وهزم مرة أخرى هناك، فتوجه إلى دمشق ثم فلسطين ومصر وهناك لحق به عامر بن إسماعيل أحد القادة العباسيين بقرية تسمى بوصير وقتله هناك في ذي الحجة سنة 132هـ/ جويلية سنة 750م[2].

بعد القضاء على مروان بن محمد آخر خليفة أموي، انتهت معه الخلافة الأموية التي استمرت طويلا لتحل محلها خلافة جديدة متصاعدة وهي الخلافة العباسية.

2- الثغور ودورها في الصراع العباسي- البيزنطي:

لعبت الثغور دورًا كبيرًا في الصراع السياسي والعسكري بين الروم والعباسيين بكونها ميدانًا لذلك، حيث استغل البيزنطيون انشغال العباسيين في بناء دولتهم الجديدة، ونقل عاصمتهم من دمشق إلى بغداد، ومن ثم تغيير استراتيجيتهم في مواجهة الروم، حيث اهتم العباسيون بالثغور البرية في حين أهملوا النشاط البحري وفضلوا الدفاع عن الهجوم، وهذا ما سمح للبيزنطيين بالتوسع في المناطق الحدودية في آسيا الصغرى وشمال الشام وسيطروا على عدد من الحصون بالإضافة إلى ثغري الحدث وملطية[3].

وبعد استعادة الدولة الإسلامية لقوتها بدأت في إرسال الحملات العسكرية وحملات الصوائف والشواتي بصفة دورية، لذا أصبحت تبعية تلك المناطق في هذه الفترة بين مد وجزر ما بين الدولتين، تبعا لقوة وضعف الطرفين، كما حاولت كل دولة الاستفادة من الظروف السيئة والعناصر المتمردة في الدولة الأخرى للتغلب عليها، وهكذا كانت الأحوال طول فترات الصراع[4].

---

[1] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص432. بن خياط، تاريخ خليفة، ص403.
[2] بن خياط، المصدر نفسه، ص404.
[3] عمر يحي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية، ص13، 14.
[4] فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص11.

أما عن شكل الحدود السياسية للدولة العباسية فلم تتغير كثيرا في عهد أبي العباس والمنصور حيث لم تشهد أعمالا حربية واسعة ما عدا بعض الصوائف، إلا أن التغيرات الواضحة حدثت عندما بلغ الجهاد والتوسع ذروته في الفترة الممتدة بين خلافة المهدي وخلافة المعتصم[1].

وكدليل على الأهمية السياسية للثغور كان الخلفاء يباشرون الحرب على أرضها بأنفسهم وكان هؤلاء لا يولون مناطق الثغور إلا للمقربين، من أهل البيت أو القواد والشجعان والراغبين في الجهاد، كما فعل المنصور والمهدي والرشيد والمأمون، فمثلا قام المأمون بتولية أخاه أبا إسحاق الشام ومصر وولى إبنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم وكان ذلك سنة 213هـ/828م.[2]

3- الثغور ساحة للثائرين ضد الخلافة:

تعرضت الدولة العباسة بعد قيامها للتمرد من طرف العديد من قادة الثورة العباسية، طمعا منهم في الحصول على منصب الخلافة، فقاموا بالعديد من الثورات على السلطة العباسية وكانت الثغور المسرح المناسب لتلك الصراعات، ومن أهم تلك الثورات نجد:

أ- ثورة عبد الله بن علي العباسي:136هـ/754م:

أرسل الخليفة أبو العباس السفاح قبل وفاته قائده عبد الله بن علي على رأس صائفة لغزو بلاد الروم، برفقة جنود من أهل الشام والجزيرة والموصل وخراسان، فسار حتى وصل إلى دلوك[3] لكن هناك بلغه خبر وفاة الخليفة السفاح وبيعة أبا جعفر المنصور[4].

فعاد عبد الله بن علي مع جيشه ولما وصل إلى نصيبين دار بينه وبين أبا مسلم الخراساني قائد الخليفة المنصور معركة كبيرة، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة 137هـ/نوفمبر754م[5]

---

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص300.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص620.

[3] نفسه، ج7، ص 473.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص99.

[5] الأزدي، تاريخ الموصل، ص362.

واستمرت المعركة لعدة أشهر حتى انتهت في الأخير بهزيمة عبد الله بن علي الذي فر إلى البصرة ونزل عند أخيه سليمان الذي كان واليا عليها، وظل مختبئا هناك حتى علم به ابو جعفر المنصور فأرسل في طلبه، فقام سليمان بإحضاره سنة 139هـ/756م ثم أمر بحبسه وضل كذلك حتى مات في سجنه سنة 147هـ/764م.[1]

ب- ثورة الوليد بن طريف الشاري الشيباني: 178هـ/794م:

كان الوليد بن طريف واليا على حلب وقنسرين خلال عهد الخليفة[2] واستطاع أن يستولي على نصيبين وقتل حاكمها سنة 178هـ/794م[3]، ثم قام بثورة ضد الخليفة على أرض الجزيرة واستولى عليها وعلى أرمينية وآذربيجان ثم حران وتغلب على عدة جيوش تابعة للخلافة العباسية حيث كان يقول:

أنا وليد بن طريف الشاري أخرجني ظلمكم من داري[4]

وفي سنة 179هـ/795م عاد الوليد إلى الجزيرة بعد أن زادت شهرته وكبر شأنه وهذا ما جعل الرشيد يهتم بثورته، فأرسل إليها القائد يزيد بن مزيد الشيباني الذي تغلب عليه وقتله قرب مدينة الأنبار وقتل من معه، أما أنصاره الباقون فقد تولت أخته ليلى قيادتهم من بعده، وحاربت جند الرشيد وضلت كذلك حتى أقنعها قائد الخليفة بترك القتال فتركته، وكتبت قصيدة مشهورة عن أخاها بعد موته نذكر منها:

فيا شجر الخابور مالك مورقًا كأنك لم تزعج على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف[5]

[1] أنظر: بن خياط، تاريخ خليفة، ص415. حسن خليفة، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، ص41، 42.

[2] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص39.

[3] حسن خليفة، المرجع السابق، ص65.

[4] المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص101.

[5] أنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ج3، ص218. حسن الخليفة، المرجع السابق، ص65.

ج- ثورة نصر بن شبث العقيلي: 198هـ/813م.

لقد تسبب الخلاف بين الأمين والمأمون في قتل الخليفة الأمين وهذا ما أدى إلى غضب نصر بن شبث وهو أحد أتباعه، حيث ثار على المأمون في ثغر كيسوم ناحية شمالي حلب وتغلب على ما جاوره من ثغور الجزيرة، وملك ثغر سمسياط، واجتمع حوله الكثير من الأنصار من الأعراب وزادت شهرته ومن ثم بلغ الفرات إلى الجانب الشرقي[1].

ولما علم المأمون بقوة نصر وزيادة أتباعه أمر قائده طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد بالتوجه فورا نحو الرقة، لمحاربة ابن شبث وولاه الموصل والجزيرة والشام لكن طاهر بن الحسين ورجع منهزما[2]، ثم توفي سنة 207هـ/822م فقرر الخليفة المأمون تولية ابنه عبد الله بن طاهر بن الحسين مكانه، وكلفه هو أيضا بمحاربة نصر بن شبث الذي احتمى بثغر كيسوم فحاصره عبد الله مدة من الزمن، اقتتلا خلالها عدة مرات وانتهى ذلك بهزيمة نصر بن شبث، بعد أن استسلم وطلب الأمان، فأخذه عبد الله إلى الخليفة المأمون بعد تخريبه لحصن كيسوم وتهديمه لحصني الكفر وحناك[3].

---

[1] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص412، 413. الأزدي، تاريخ الموصل، ص577.

[2] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص39.

[3] نفسه، ص40.

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي.

لقد لعبت الثغور دورا هاما في المجال الاقتصادي حيث كانت المصدر الأساسي لبيت المال من خلال الحملات العسكرية خاصة، ولكن بالرغم من هذا فإنها في بعض الأحيان تشكل عبئا ثقيلا على كاهل بيت المال وعلى السكان أيضا، ولهذا فإننا نستطيع أن نقسم الدور الاقتصادي للثغور إلى قسمين: الواردات، والنفقات.

أولا: الواردات (الموارد المالية): وشملت عدة أشكال:

1- الغنائم:

وهي مقسمة إلى قسمين فيء وغنيمة، أما الفيء فهي كل ما وصل من المشركين عفوًا من غير قتال، أما الغنيمة فهي ما حصل عليه المسلمون قهرًا[1]، ولقد شكلت غنائم الحرب موردًا اقتصاديًا هامًا، وذلك نظرًا للتتابع الحملات عبر مناطق الثغور إلى بلاد الروم، حيث كانت تصيب غنائم كثيرة[2].

وكدليل على ذلك فقد استطاع عبد الملك بن صالح من خلال صائفة انطلقت سنة 175هـ/791م أن يحصل على 19 ألف رأس من الروم[3]، كما استطاع حميد بن معيوف من خلال حملة قام بها على قبرص سنة 190هـ/805م والتي أتت ب 16 ألف من أهل الروم وبيعوا في مدينة الرافقة ومن بين هؤلاء أسقف قبرص الذي بلغ ثمنه ألفي دينار[4]، وتمكن المعتصم خلال

[1] أنظر: الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة، (د، ت)، ص161. ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، مصر، 1969، ص121.

[2] سناء عبد الله عزيز الطائي، اقتصاديات الثغور في القرنين 3و4هـ/ 9و10م، العدد 3، المجلد 9، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ص510.

[3] خ بن خياط، تاريخ خليفة، ص449.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص43، 44.

غزوته لعمورية سنة 223هـ/838م جلب 30 ألف رأس من الروم حيث امتلأ بهم المعسكر بخلاف من بيعوا في بلادهم لكثرتهم[1].

إضافة إلى الأسرى فإن الحملات تعود بالكثير من الغنائم بمختلف الأنواع، حيث نجد أن هارون الرشيد من خلال الصائفة التي قادها في عهد أبيه المهدي سنة 165هـ/782م جلب الكثير من الغنم والبقر والدواب وكذلك الأسرى الذي بلغ عددهم خمسة آلاف رأس[2]، وكذلك في عهد الواثق وبالتحديد سنة 231هـ/846م كانت غزوة أحمد بن سعيد الباهلي التي عاد منها بألف بقرة وعشرة آلاف شاه[3].

2- الخراج والجزية:

يشترك اللفظان في معنى أن كلاهما يؤخذ من أهل الذمة في كل سنة[4]، وفرق الماوردي[5] بين الجزية والخراج في ثلاثة أمور أهمها أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط مع وجود الإسلام والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام، والجزية هي ضريبة الرأس أما الخراج هو ضريبة الأرض[6].

حرص الخلفاء العباسيين عند إنتصارهم على فرض الخراج والجزية على أعدائهم البيزنطيين ففي سنة 165هـ/781م غزى هارون الرشيد بلاد الروم وكان ذلك في خلافة أبيه وعقد صلحا مع ملكتهم إيرين، مقابل تسعين أو سبعين ألف دينار تؤديها في شهر أفريل وجوان من كل سنة وكتبوا كتاب الهدنة لثلاث سنين[7].

---

1 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص69.
2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص 248.
3 أنظر: الطبري، المصدر السابق، ج9، ص145. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص89.
4 ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، ص136.
5 الأحكام السلطانية، ص181.
6 فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج3، ص117.
7 الطبري، المصدر السابق، ج8، ص153.

وفي سنة 190هـ/805م وبعد انتصار الرشيد في هرقلة، بادر نقفور ملك الروم إلى دفع الخراج عن أرضه والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بيته، خمسين ألف دينار[1]، وفي سنة 218هـ/833م استطاع المأمون غزو بلاد الروم وفتح عددا كبيرا من حصونهم، وخير أهلها بين الإسلام أو الجزية، فاختار الكثير من أهل الروم الجزية[2].

3- العشور والمكوس:

تعتبر العشور والمكوس هي الأخرى موردًا من موارد بيت المال حيث كانت العشور عبارة عن رسوم تؤخذ على أموال وعروض أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام، وأول من وضعها هو عمر بن الخطاب[3]، حيث فرض على المسلم دفع ربع العشر والذمي نصفه ويدفع أهل الحرب العشر كاملا[4].

أما المكوس فهي الضرائب التي تؤخذ من التجار في الأماكن التي تقام خصيصًا لهذا الغرض[5]، فقد كانت المكوس تفرض على البضائع الصادرة والواردة بين حدود الشام والروم، وإذا ازدادت قوة الروم يصبح هؤلاء يقيمون في حلب رجل منهم لأخذ مكس البضائع مثل ما حدث في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي[6].

ثانيا: النفقات على الثغور.

نظرا لاهتمام بني العباس بالثغور كأسلافهم من الأمم، صرفت أموال طائلة على الثغور فقد كانت هذه المناطق متاخمة لحدود العدو، لذلك كان من الطبيعي أن يصرف الحيز الأكبر من

---

[1] أنظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ ولخبر، ج3، ص284. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص182، 183.

[2] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص35، 36.

[3] ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، ص138.

[4] أبو يوسف، الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979، ص132.

[5] فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج3، ص140.

[6] نفسه، ج3، ص141.

النفقات على الجانب العسكري حرصًا منهم على سلامة حدود الدولة العباسية من الخطر الخارجي، ومن بين النفقات الموجهة للثغور نذكر:

1- النفقات العسكرية:

لقد تولى بيت المال الإنفاق على الحملات العسكرية السائرة نحو بلاد الروم والتي كانت تعتبر سياسة ثابتة عند العباسيين فهي في نظرهم جهادا في سبيل الله وصدا للعدوان الواقع على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية لذا فقد كانت الغزوات (الصوائف والشواتي) تتوالى من الثغور وعبرها وكان يشارك فيها خلفاء وأمراء البيت العباسي وقد كلفت بيت المال مصاريف باهظة[1].

وكدليل على ذلك أنفق المهدي في سنة 163-165هـ/779-781م على حملتين عسكريتين على بلاد الروم قادهما ابنه الرشيد حيث وصل خلالهما إلى خليج القسطنطينية ما قيمته 100.000 درهم، 194 ألف دينار، 21 مليون درهم[2].

وفي عهد الخليفة المعتصم كذلك أنفق أموالا طائلة في فتح عمورية سنة 223هـ/838م ردا على دخول الروم إلى زبطرة حيث تجهز لهذه الحملة بجهاز لم يتجهزه خليفة من قبل من آلات الحرب والسلاح والتي كلفته أموالا ضخم[3].

إضافة إلى النفقات التي كانت تصرف في مجال الحملات العسكرية اهتمت الدولة العباسية كذلك بالعمارة العسكرية، فقامت ببناء العديد من المدن العسكرية سواءًا في منطقة الثغور أو في غيرها وإمدادها بالرجال والعتاد، وخصصت أموالا كثيرة للصرف على الجند وعلى مرافق تلك المناطق كما عملت على إقامة التحصينات كإقامة الأسوار والخنادق[4].

---

[1] الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ص333.

[2] أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص152. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص244. الزهراني، المرجع السابق، ص335، 336.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص57. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص328.

[4] الزهراني، المرجع السابق، ص454.

وكمثال على ذلك قام المنصور سنة 139هـ/756م ببناء مدينة المصيصة، وجلب إليها ألف رجل وكذلك قام الرشيد في عهد أبيه وبالتحديد سنة 165هـ/782م ببناء مدينة كفربيا وتحصينها بخندق[1]، وفي عهده أمر ببناء عين زربة وتحصينها ونقل إليها مجموعة من أهل خراسان وأقطعهم فيها المنازل[2]. وفي سنة 194هـ/809م بنى أبو سليم فرج الخادم أذنة وأحكم بنائها وتحصينها ونقل إليها رجالا من أهل خرسان وغيرهم على زيادة في العطاء.[3]

2- الانفاق على رواتب الجند:

لقد عمدت الدولة العباسية زيادة رواتب جند الثغور عن بقية الجند نظرا لاحتياج تلك المناطق للمقاتلين ولبعدهم عن ديارهم وتعرضهم لهجومات الأعداء بين الحين والآخر، وكذلك من أجل تشجيعهم على البقاء في تلك المدن[4].

وكمثال على ذلك أسكن المنصور مدينة ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم، وذلك على زيادة عشر دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار، وزودهم بالسلاح وأعطى لهم المزارع[5]، وفي عهد الخليفة الهادي قام محمد بن إبراهيم والي الجزيرة وقنسرين بنقل مجموعة من أهل الشام والجزيرة وخراسان إلى مدينة الحدث، وخصص لهم العطاء أربعين دينارا لكل جندي وأقطعهم المساكن[6]،

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص173.
[2] نفسه، ص178.
[3] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ص170.
[4] الزهراني، النفقات وإدارتها، ص303.
[5] قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص319.
[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م2، ص228.

وقد خصص الخلفاء العباسيين مكافأة مغرية لكل جندي كلف بمهمة عسكرية ذات شأن، فمثلا في حملة عمورية وجه المعتصم من معسكره قوما من الأدلاء وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوصلوا كتابه إلى القائد البيزنطي الأفشين[1].

يضاف إلى النفقات تلك الأعطيات التي كانت تمنح لفئة الأدلاء، حيث كانت تخصص لهم حصة من أعشار الغلال في الثغور، وفي نفس الوقت كان العباسيون يصرفون من هذه الغلال على فئة الأرمن مقابل عملهم مع الجيوش الإسلامي[2].

ومما لا شك فيه أن نفقات الثغور كانت عبئا كبيرا على كاهل بيت المال العباسي، إذ أن دخلها قليل لا يمكن أن يقارن بمقادير الانفاق الكبيرة التي تصرف عليها، ذلك لأنها كانت مهيئة على الدوام لمواجهة العدوان وصده عن أراضي الدولة[3].

الخليفة	اسم الثغر	الراتب	الزيادة	الصلات	عدد الجند
المنصور 136-158هـ/754-755م	ملطية	/	10 دنانير	100 دينار	4000جندي[4]
المهدي	المصيصة	10 دنانير	/	/	500 مقاتل[5]
	الحدث	40 دينار	/	300	4000 مقاتل[6]
	الحدث	40 دينار	/	300	5000 مقاتل[7]
الرشيد	طرسوس	40+10-50 دينار	10 دنانير	/	5000 مقاتل[8]

جدول يوضح النفقات العسكرية في منطقة الثغور في العصر العباسي الاول.

[1] فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج3، ص151.
[2] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص181.
[3] الزهراني، النفقات وإدارتها، ص307.
[4] أنظر: قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص319. البلاذري، فتوح البلدان، ص196.
[5] البلاذري، المصدر السابق، ص227، 228.
[6] أنظر: الجنزوري، الثغور البرية، ص15. قدامة، المصدر السابق، ص320.
[7] أنظر: فتحي عثمان، ج2، ص247. الجنزوري، المرجع السابق، ص160.
[8] البلاذري، المصدر السابق، ص177.

المبحث الثالث: الدور الأمني والعسكري

بعد أن وصل العباسيون إلى مرحلة من القوة والعزة جعلت باقي الدول المتاخمة لحدودهم تحسب لهم الحسابات، كان من الضروري لها تعزيز النظام الأمني خاصة من جهة الدولة البيزنطية حيث اهتم الخلفاء بإعداد الجيوش وتدريبها وتحصين المناطق، فكانت الثغور الساحلية والبرية المهددة بهجوماتهم تشمل حيزًا كبيرًا من التنظيمات الأمنية يمكن أن نذكر منها:

1- التخلص من الجواسيس:

كانت السياسة الخارجية بين الروم والمسلمين تؤدي أحيانا إلى نوع من التعصب الإسلامي ضد سكان الثغور غير المسلمين، وخاصة النصارى فقد تعاون هؤلاء أكثر من مرة مع الروم ضد المسلمين، لذلك قام المنصور سنة 153هـ/770م بإجلاء بعضًا من أهل لبنان الذين كانوا قد اجتمعوا مع رجل كان على صلة وثيقة مع الروم، ينقل لهم أخبار المسلمين يسمى "بندار"، وأطلق على نفسه اسم الملك ولبس التاج وأظهر الصليب، حيث زادت شهرته في طرابلس لكنه هرب بعد ذلك ولجأ إلى بلاد الروم[1].

وفي عهد الرشيد كذلك حدث أن تعاون نصارى الثغور[2] مع البيزنطيين في حملاتهم ضد المسلمين، لهذا أصدر الرشيد في سنة 191هـ/808م أمرًا بهدم الكنائس في منطقة الثغور واستخدم أحجار الكنائس المهدمة لإعادة بناء الحصون ومدن الثغور الأخرى، مثل حصن الحدث الذي بني بحجارة كنيسة كيسوم المهدمة[3].

---

[1] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج1، ص370.

[2] نصارى الثغور: هم الأرمن بصفة خاصة الذين كانوا يهادنون المسلمين وعندما تأتي حملة بيزنطية تثور فيهم نخوتهم ويشاركون فيها ضد المسلمين، وقد كان هذا ديدانهم خلال فترة الصراع الإسلامي- البيزنطي جميعه من عهد الفتوحات حتى الحروب الصليبية.

[3] أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص348. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص194.

وكذلك بسبب تجسس بعض أهالي الثغور من أهل الذمة لصالح البيزنطيين أمر الرشيد بأن يخالف أهل الذمة المسلمين في لباسهم وركوبهم، كما منع بناء الكنائس إلا بأمر الخليفة وأن لا يظهروا صلبانهم في الأمصار[1].

2- جمع المعلومات حول العدو:

وهي العملية التي يقوم بها الطرفان قبل الحروب والمعارك، وذلك ببعث العيون والجواسيس إلى أرض العدو، والتستر بين صفوف الجيش للحصول على المعلومات عن خططهم ومدى استعدادهم للحرب، وكان على القائد البعث بالجواسيس ممن يثق بهم للحصول على الأخبار الصحيحة[2].

وهناك طريقة أخرى لجمع المعلومات عن العدو وكانت تتم بإرسال من يطلق عليهم اسم الكمناء، وهم الذين يتسللون إلى أرض العدو ويجمعون عنه الأخبار والمعلومات، وهذا ما أوضحه الهرثمي[3] حيث قال "لا يجب أن يكون بأحد أو بدابته علة أو خلق قد يستدل العدو به عليهم ويجب أن يكمنوا في موضع خفي مستور بحيث لا يقدر على بيانهم فيه...، ولا يخرجون من مكمنهم إلا في حال غفلة عدوهم.

3- الاستفادة من سكان الثغور في العمل الأمني:

لعب سكان الثغور دورًا مهمًا في تتبع أخبار الروم وجمع المعلومات عنهم ومعرفة نقاط الضعف عندهم، وذلك نظرًا لقرب الثغور من بلاد الروم والاحتكاك المتبادل بينهم، ومن ثم أدرك المسلمون أهمية التلصص على العدو وجمع المعلومات عنه فجعلوه من شروط صلحهم مع أهالي تلك المناطق، لذلك تأثر أهل الثغور المجاورة لبلاد العدو بميزات مرتبطة بمعرفة أخبار الآخر

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص324.

[2] الهرثمي الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تح، عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ت)، ص23، 24.

[3] نفسه، ص50، 51.

وخبرتهم بتفاصيل بلاده، فمثلا وصف أهل الهارونية بأنهم مجاهدون في غاية الشطارة يغزون فيغنمون ويتلصصون على بلاد الروم فيسلمون[1].

كما كانت تعيش في الثغور فئة تعرف بالأدلاء وهم المؤلفة قلوبهم من غير المسلمين كالأرمن والروم وأولادهم، وقد انتشرت تلك الفئة بشكل كبير في ثغر طرسوس، ونظرا للدور الذي تلعبه هذه الفئة في جمع الأخبار عن العدو خصصت لهم حصة معلومة من الغلال، حيث كان يقدم لهم العشر مما يصل لبيت المال بطرسوس[2].

كذلك لعب الأرمن دورا أمنيا مهما حيث وقفوا إلى جانب المسلمين ضد الروم أكثر من مرة، حيث يقول قدامة[3] "أن الأرمن حلوا بملطية على آثار قوم أطلق عليهم السالفة، وهم من الروم إلا أنهم يخالفونهم في كثير من عاداتهم، وكان السالفة يعينون المسلمين في غزواتهم، إلى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع بإساءة أهل الثغور معاشرتهم وقلة إشراف المدبرين على أمرهم فتفرقوا في البلاد وحل محلهم هؤلاء الأرمن.

وكذلك نذكر الجراجمة الأكراد الذين كانت تتم الاستعانة بهم في أحداث كثيرة في عهد بني أمية وبني العباس، فكان يعرف منهم المناصحة ويستعان بهم في المسالح وغيرها[4] وقد ألزمهم بعض عمال بني العباس بدفع الجزية فرفعوا ذلك إلى الواثق بالله الذي أمر بإسقاطها عنهم[5].

وقد لعب سكان الثغور خاصة النصارى منهم دورًا هامًا في مساعدة المسلمين أثناء حملاتهم العسكرية، وخاصة في مجال معرفة لغة الروم والترجمة عنهم، وكمثال على ذلك نذكر الترجمان باسيل الذي شارك المعتصم في فتح عمورية، وبعد انتهاء المعركة أمره الخليفة أن يميز

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص167.

[2] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1 ، ص181.

[3] الخراج وصناعة الكتابة، ص187.

[4] ياقوت، معجم البلدان، م2، ص123.

[5] ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص233.

الأسرى البيزنطيين فيعزل أهل الشرف والقدر في ناحية ويعزل الباقين في ناحية ففعل ذلك[1]

بالإضافة إلى ما لعبه سكان الثغور من دور في إعانة المسلمين ضد الروم، كان للتجار كذلك أهمية كبيرة في ذلك حيث كانوا يترددون عبر مناطق الثغور ومنها إلى بلاد الروم ويجمعون الأخبار عنهم، ورغم معرفة البيزنطيين بخطر هؤلاء التجار إلا أنهم لم يستطيعوا الاستغناء عن التعامل معهم ولا عن منتجات العالم الإسلامي أو البضائع الشرقية التي كانوا ينقلونها، لذا وضعت بيزنطة العديد من القيود على التعامل التجاري معهم، والذي تبين من خلال إلزام التجار بالدخول إلى القسطنطينية من ميناء معين، ويجب الحصول على إذن بالدخول مع دراسة دقيقة عليهم[2].

4- منفى لمعارضي الحكم:

لعبت الثغور دورا أمنيًا آخرًا تمثل في أنها احتوت مجموعة من الأفراد الذين كانوا عبئا على المدن الإسلامية الهامة، فكانت هدفا لسياسة الإبعاد عن العاصمة التي قام بها الخلفاء من بني العباس كرد فعل عن اشتراك هذه العناصر في الفتن والاضطرابات السياسية الداخلية.

وكدليل على ذلك ما حدث في محنة القرآن سنة 218هـ/833م حيث أبعد إلى الثغور مجموعة العلماء القائلين بأن القرآن كلام الله حيث طلب المأمون من عامله ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن القضاة وجميع أهل العلم في قضية خلق القرآن، فمن أقر منهم أنه مخلوق خلي سبيله ومن أبى الإقرار بذلك يخبر الخليفة به ليرى أمره، وكان من هؤلاء العلماء قاضي القضاة بشر بن الوليد وأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح وآخرين، حيث جمعهم ببغداد وقرأ عليهم كتاب المأمون وسألهم جميعا[3].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص69.

[2] أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص140.

[3] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ج1، ص210.

وبناء على ذلك كتب إسحاق أقوالهم ورفعت إلى المأمون الذي أمره بأن يحضر قاضي القضاة بشر وإبراهيم بن المهدي، فإما يقولا بخلق القرآن أو يكون مصير كل منهما الموت، وأما الآخرين فمن لم يقل بخلق القرآن يوثقه بالحديد ويحمله إليه، ولذلك اضطر بشر وإبراهيم والقواريري وسجادة القول بخلق القرآن، أما أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح رغم تهديد الخليفة أصرا على إنكار خلق القرآن فوجههما إلى طرسوس كمنفيين، ثم ألحق بهم بشر بن الوليد وجماعة معه بأمر من المأمون[1].

أما بالنسبة للمجال العسكري، فقد استندت الخلافة العباسية في مجال حماية حدود العالم الإسلامي المواجهة للإمبراطورية البيزنطية وفي الرد عن هجومات الروم المتكررة على حملات منتظمة تمثلت في الصوائف والشواتي وغيرها من الحملات الكبرى التي كانت تنطلق كل سنة من مدن الثغور الإسلامية.

- ولقد تمثل الدور العسكري للثغور فيما يلي:

1- بوابة لخروج الجيوش الإسلامية:

حينما يخرج أمير الثغر للنفير رفقة جنده وقواده، كانت هناك مجموعة من الصبيان الذين لم يبلغوا سن الرشد يجتمعون لدى رجل معروف بالمدينة ليسند إليهم حماية الجبهة الداخلية للثغر ولإشعار أهله ممن تخلف عن الغزو بالأمن، وذلك من باب التدريب والتهيئة للمشاركة في عمليات غزو قادمة، وكان صاحب الشرطة والمحتسب يحرص مع رجاله الباب الأول للمدينة الذي يخرج منه الناس للغزو، بعد أن تغلق جميع الأبواب الأخرى وتسلم مفاتيحها لصاحب الشرطة وتبقى كذلك حتى تعود الجيوش[2].

ومنذ تحرك الجيوش من الثغر وحتى وصولها لهدفها، يتم الالتزام بضوابط صارمة إعتاد عليها المجاهدون خوفا من التفرق والتنازع وللحفاظ على وحدة الرأي، حيث يعقد الأمير لقائد

[1] ابن الوردي، تاريخه، ج1، ص211.

[2] إحسان عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1988، ج2، ص453، 454.

الفرسان لواء الجهاد ويساعده قائد وعدد من المقاتلين أولي القوة من المتطوعة الذين يرغبون بالجهاد ولقاء العدو[1]، أما إذا تأخر الجيوش في العودة يقوم المحتسب بالنزول إلى الأسواق، يحث الناس ويشجعهم على اللحاق بمن سار مع الأمير وبمن توجه إلى الغزو، ويبقى الأمر كذلك حتى يعود الأمير إلى دار الإمارة[2].

2- الثغور منطقة لعمليات الفداء:

كما كانت أرض الثغور مسرحا لتبادل الأسري (عملية الفداء) بين الروم والمسلمين، ففي العصر العباسي الأول وتحديدا في عهد هارون الرشيد وقع أول فداء وكان ذلك سنة 189هـ/805م، حيث استمرت العملية اثني عشر يوما فودي فيها ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير من المسلمين، ولم يبقى في سجون الروم أي أسير مسلم، فقال مروان بن أبي حفصة يخاطب هاون في ذلك.

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها

محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيا المسلمين فكاكها

وقالوا سجون المشركين قبورها[3]

كما حدث في عهد الرشيد عملية فداء أخرى سنة 192هـ/808م في مكان يدعى البدندون وكان ملك الروم أنذاك نقفور، وكان القائم على هذه العملية ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي الذي ولي الثغور الإسلامية في هذه السنة[4].

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص188، 189.

[2] نفسه، ج1، ص189.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص318.

[4] أنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9، ص197. ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص9.

وأما عملية الفداء الثالثة وهي الأضخم فقد وقعت في عهد الواثق تحديدا في المحرم من سنة 231هـ/سبتمبر845م[1] على نهر اللامس وكان القائم بها أحمد بن سعد بن مسلم بن قتيبة الباهلي، الذي قد كلفه الواثق على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء مع الأمير خاقان الخادم.

وقد اجتمع المسلمون ومن معهم من أسرى الروم على ضفتي النهر، وأتت الروم ومن معهم من أسرى المسلمين، وأطلق كل طرف أسرى الطرف الآخر[2]، وقد بلغ عدد الأسرى المسلمين الذين افتدوا من أيدي الكفار أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين أسيرا وقيل أيضا بلغ عددهم أربعة آلاف وأربعة وستين مسلما وثمانمائة من النساء والصبيان ومائة من أهل الذمة[3]. وبقيت عمليات الفداء مستمرة حتى بداية العصر العباسي الثاني.

الخليفة	السنة	المكان	عدد من فودي به	مقدار مال الفداء
المنصور	139هـ / 756م	قليقيا	/	/
هارون الرشيد	189هـ / 804م	نهر اللامس بالقرب من طرسوس	3700	/
	192هـ / 807م	نهر اللامس	2500	/
الواثق بالله	231هـ / 845م	نهر اللامس	4362	8724 دينار

جدول توضيحي لعمليات الفداء وتبادل الأسرى في العصر العباسي الاول[4]

[1] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص132.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص88.

[3] أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص310. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص340.

[4] فؤاد طوهارة، السياسة المالية في الدولة العباسية 132-232هـ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، (2016-2017)، ص230.

المبحث الرابع: الدور الثقافي

رغم أن الهدف الذي أنشأت من أجله الثغور الإسلامية والثيمات والبنود البيزنطية[1] كان عسكريًا، إلا أنها لعبت دورا ثقافيا كبيرا نتيجة الاحتكاك المتواصل بين الجانبين، والذي ترتب عنه تأثير وتأثر على أرض الواقع، فموقع الثغور كان يمنحها الإطلالة على الدولة البيزنطية وبالتالي الاحتكاك معها، بل إنها أيضا كانت مراكز لتلك الحضارة، وبالرغم من أن الحضارة العربية الإسلامية زحفت سريعا إلى داخل الأمصار فإن مناطق الثغور كان تأثيرها أقل نظرا لوقوعها تحت تأثير الجوار الحضاري لبيزنطة[2].

وكان للتبادل الحضاري بين الدولة العباسية والبيزنطية عدة طرق وأساليب تمثلت في وسائل التأثير و التأثر بين الطرفين يمكن أن نذكر منها:

1- الترجمة:

كانت المخطوطات اليونانية تنقل من آسيا الصغرى إلى مدن الثغور الشامية والجزرية، تبعًا لنشاط حركة التبادل في فترات الاستقرار وهي عديدة نظرًا لأن الحروب كانت موسمية وعبارة عن حملات عسكرية تغزو وتسحب[3].

كما تعددت وسائل العباسيين في الحصول على المخطوطات في مختلف العلوم الأجنبية فأحيانا يحصلون عليها عن طريق المعاهدات التي تعقد مع أباطرة الدولة البيزنطية، التي كانوا يشترطون فيها تسليمهم كميات من المخطوطات اليونانية أو عن طريق الهدايا[4].

---

[1] الثيمات: وهي كلمة يونانية تعني بالمفهوم العسكري مجموعة من الجيش تقيم في الإقليم على الحدود، مسؤوليتها توفير الحماية والمراقبة، وهذه المجموعة أو الفرقة العسكرية لها حاكم عسكري، له سلطات مدنية ومالية وقضائية وله آليات ونظام خاص في العمل، ويقابلها عند العرب مصطلح (الأعمال أو البنود) وتعني تقسيم الجبهة إلى مجموعة مقاطعات عسكرية، يقف على رأس كل مقاطعة حاكم عسكري يكون هو رأس السلطة المدنية، أنظر: شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص294. عاصم إسماعيل كنعان، نظام حماية الحدود، ص2.

[2] عمر يحي محمد، التوجيهات في العلاقات السياسية، ص29.

[3] نفسه.

[4] عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص367.

ومع دخول العصر العباسي الأول عرفت أعمال النقل الثقافي ازدهارًا كبيرًا، فكان الخليفة المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، فلم يكتف الخليفة بترجمة كتب الفرس مثل كتاب "كليلة ودمنة"، بل انتقل إلى ترجمة كتب الهند واليونان ككتاب "السند هند"، وترجم له كتاب "المجسطي" لبطليموس وكتاب "الأرتماطيقي" وكتاب إقليدس وغيرها من الكتب القديمة من مختلف اللغات[1].

وفي عهد الرشيد ووزرائه البرامكة نشطت الترجمة نشاطا واسعًا، ومما زاد في هذا النشاط إنشاء دار الحكمة وتشغيل طائفة كبيرة من المترجمين بها، وجلب لها كتب من بلاد الروم عبر مناطق الثغور وقاموا بترجمتها ومن أبرزها كتاب المجسطي[2]، وكان الرشيد يولي إدارة هذا العمل ليوحنا بن ماسويه وهو طبيب من مدرسة جنديسابور[3]، وله عدة مؤلفات وكتب في الطب وتركيبة الأدوية وقلده الرشيد في مهمة ترجمة الكتب القديمة التي وجدت بأنقرة وهرقلة وغيرها من المدن البيزنطية[4]، وكان لوزراء الرشيد البرامكة أثر كبير في ازدهار حركة الترجمة خاصة يحي بن خالد البرمكي، حيث كان من النقلة المشهورين في عهد الرشيد إضافة إلى ابن ناعمة وسلام الأبرش[5].

وفي عصر المأمون كذلك اتسعت حركة النقل بشكل كبير، حيث أن الخليفة المأمون لما صالح صاحب جزيرة قبرص، أرسل إليه بطلب خزانة كتب اليونان و التي كانت مجموعة عندهم في بيت لا يستطيع أحد التطلع عليها، فأرسلها إليه لكن اغتبطه عليها كثيرا، وأصبح سهل بن

---

[1] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص250.

[2] المجسطي، كتاب يحتوي على خلاصة ما توصل إليه قدماء اليونان في علم الفلك، ويعتبر المرجع الأساسي في العالم الإسلامي وفي أوروبا إلى عصر النهضة ونقل الكتاب إلى اللغة العربية أكثر من مرة، أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص344.

[3] جنديسابور: هي مدرسة قديمة في بلاد فارس غير عربية، أنشئت قبل الإسلام واستمرت حتى العهد العباسي، اشتهرت بالطب وكان عماد دراستها في هذا المجال ما ألفه اليونان وما نقله منها علماء السريان، أنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج15، ص321.

[4] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة، (د، ت)، ص112.

[5] ابن النديم، الفهرست، تح: ابراهيم رمضان، دار المعارف، ط2، بيروت، 1997، ج1، ص304.

هارون[1] خازنا لها[2]. وقد ترجمت بعض المصنفات من اليونانية والفارسية إلى العربية على يد بعض المترجمين كالحجاج بن مطر وابن البطريق وسلمى صاحب بيت الحكمة وغيرهم[3].

2- السريان النساطرة:

قام السريان النساطرة[4] من خلال أديرتهم وكنائسهم التي كانت تنتشر في بلاد الثغور، والتي تركها المسلمون قائمة بدور كبير في ايصال الثقافة اليونانية، فقد نشطوا بشكل كبير في عصر المأمون وترجموا الكتب اليونانية إلى العربية لأنهم كانوا الأقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم آل بختيشوع، وآل حنين، وقسطا بن لوقا وغيرهم[5].

ولم يقتصر دور هؤلاء السريان على نقل الثقافة البيزنطية إلى المسلمين، بل إنه تم الاستعانة بهم في وظائف الدولة الإدارية التي كانوا بارعين بها، وقد كان أكثر الأطباء والكتبة بالشام من النصارى والسريان[6].

3- الأسرى:

شكل الأسرى جزءا كبيرا من سكان الثغور، مما جعل لهم دورا هاما في حركة التأثير والتأثر الثقافي، وكان هؤلاء يؤسرون خلال الإغارات المتبادلة التي كانت تتم أحيانا على تلك

---

[1] سهل بن هارون بن راهيون الدستميسامي، أبو عمر: انتقل إلى البصرة واتصل بخدمة المأمون وتولى خزانة الحكمة له، وكتن حكيما فصيحا شاعرا، فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته وكانت وفاته بعد سنة 200هـ، أنظر: ابن شاكر، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1974، ج2، ص84.

[2] ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص243.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص 304.

[4] أمة السريان: هي أقدم الأمم، وكلام آدم وبنيه بالسرياني، والنساطرة نسبة إلى نسطور، وهو راهب سوري صار قسيسا لكنيسة أنطاكية، ثم رئيس أساقفة القسطنطينية وذلك عام 428م، مات في مصر منفيا حوالي سنة 450م، أنظر: زيادة الراسي، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، تح: السعود بن عبد العزيز الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 2003م، ص71.

[5] الدينوري، المعارف، ص54.

[6] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص183.

الثغور، أو خلال مشاركتهم في الحملات العسكرية على أراضي الروم، فنجد أن أسرى الجانبين قد ساهموا في نقل ثقافتهم للجانب الآخر، فقد أصبح من الأسرى البيزنطيين من يتكلم العربية ومن المسلمين من يتكلم اليونانية، ونتيجة لذلك انتقلت كلمات عربية كثيرة إلى اللغة اليونانية، وكذلك العكس انتقلت كلمات يونانية إلى اللغة العربية، كما نقلوا بعض العادات والصفات[1]، ومن شدة انتشار اللغة العربية لدى الروم في تلك الفترة يذكر المؤرخون أن مؤسس الأسرة الآسيوية الإمبراطور ليو الإيسوري[2]، كان يتكلم العربية ويجيد القراءة بها.

كما لعب التجار دورا بارزا في التلاقح الحضاري بين المسلمين والروم، حيث لم يكن باستطاعة بيزنطة الاستغناء عن التعامل مع تجار الشام المسلمين، أو الاستغناء عن منتجات العالم الإسلامي وتجارة الشرق، وخاصة أن تجار شمال الشام كانوا يقومون بدور الوسطاء لتلك التجارات، وهي المواد الضرورية للاقتصاد البيزنطي، وعلى هذا كانت تخفف من القيود التي تفرضها على التجارة والتجار القادمين إلى القسطنطينية[3].

4- السفراء:

لقد عرفت العلاقة بين الروم والمسلمين تدهورا دائما نتيجة الصراع العسكري والحملات المتكررة، وهذا ما ألزم وجود مراسلات وسفراء لحبس النبض بين الطرفين، سواء لمناقشة العلاقات التجارية والثقافية أو لوضع شروط الهدنات العسكرية أو لافتداء الأسرى، ومن خلال ذلك أصبحت هناك تأثيرات ثقافية تجلت في طريقة التعامل مع السفراء أو الهدايا التي يتبادلونها والتي تنقل تراث البلدين، أو في طريقة اختيار السفراء وثقافتهم وأسلوب عملهم[4].

---

1 عمر يحي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية، ص29.

2 ليو الإيسوري: يستمد ليو الثالث لقبه من إقليم إيسوريا في قليقية، فقد ولد في هذا الإقليم من أبوين أرمنيين، وكان ليو رجلا طموحا قوي الإرادة، وقبل اختياره للجلوس على العرش هزم عدة جيوش إسلامية تفوق جيوشه، كما كان بعد ذلك سياسيا محتكا وهب الإمبراطورية الاستقرار بتطبيقه للقوانين العادلة، ولم يكن يعيبه إلا سلطانه الأوتوقراطي، أنظر: ديورانت: قصة الحضارة، ج14، ص157.

3 أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية، ص140.

4 عمر يحي محمد، المرجع السابق، ص30.

أما عن أهم التأثيرات الثقافية التي نتجت عن الاحتكاك بين الجانبين في تلك الفترة، هي ظاهرة الأدب الذي أفرزه الصراع العسكري بين الطرفين البيزنطي والإسلامي، والذي تمثل في القصائد التي كان يكتبها الشعراء من الجانبين، وكذلك الملاحم الشعبية والقصص التي انتشرت بين الطرفين والتي كانت تتحدث عن الانتصارات التي حققتها الدولتين وعن بطولات الجيشين في أرض المعارك[1]، أبرزها ما يعرف بالأغنيات الشعبية الأكريتاسية والتي تصف حالة الحروب بين الجانبية خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، لاسيما معركة عمورية في عهد المعتصم سنة 223هـ/838م[2].

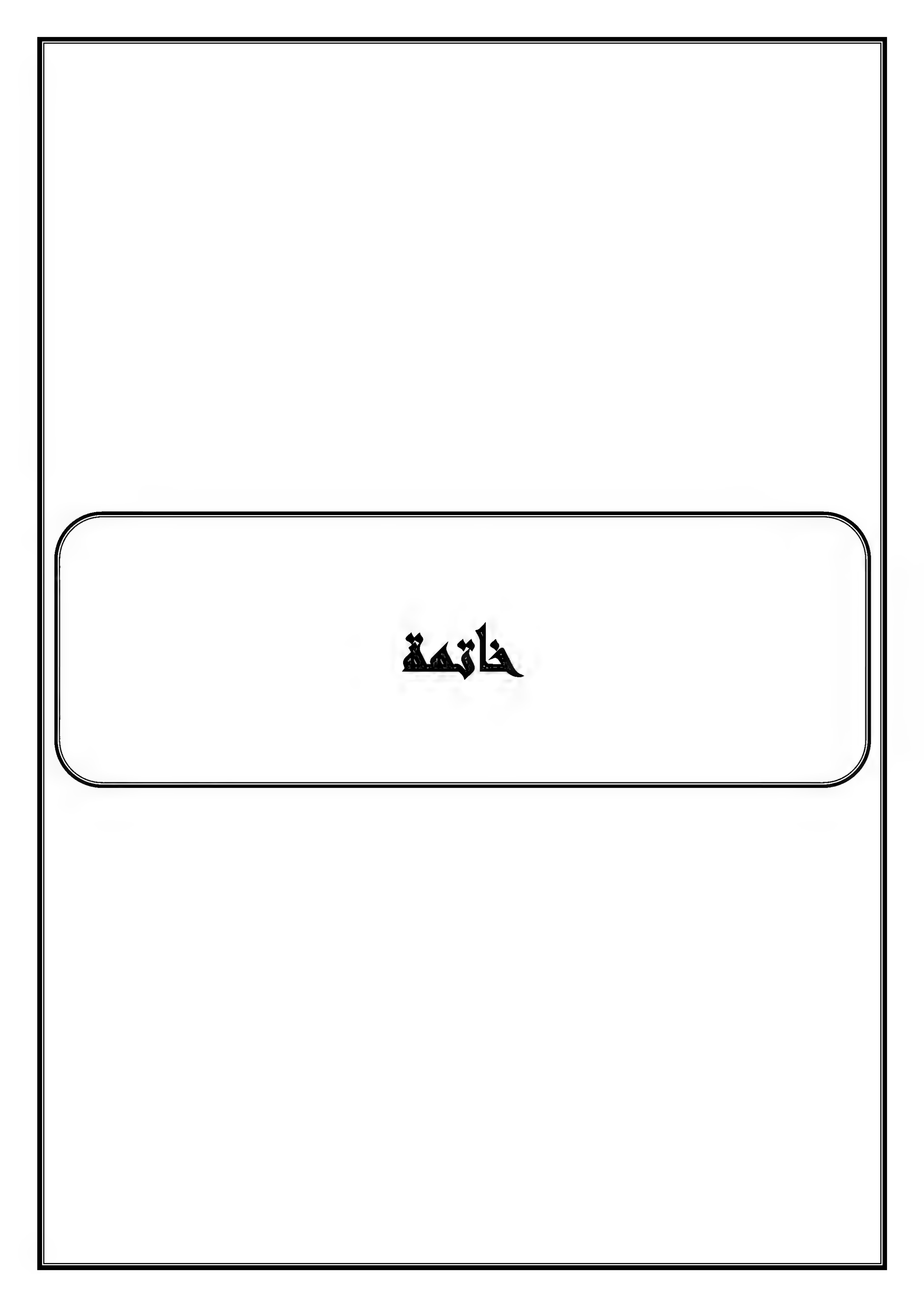
وكذلك من مظاهر التأثير والتأثر بين الدولتين نذكر ما أخذه أهل الشام من البيزنطيين من مهارة الصناعات وحسن التدبير[3].

---

[1] عمر يحي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية، ص30.

[2] شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص346.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، ص47.



خاتمة

الخاتمة:

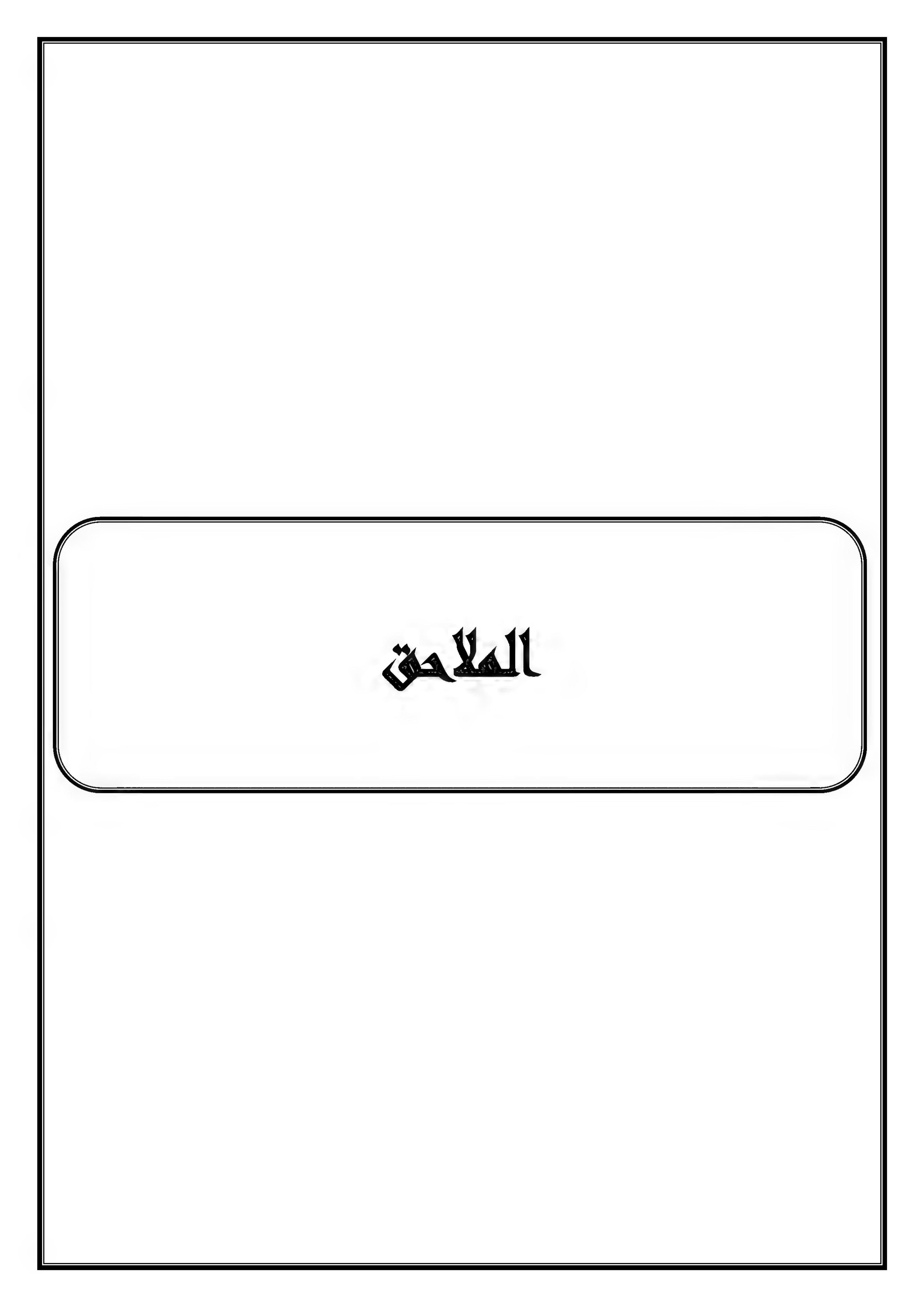
خلصنا من خلال هذا البحث على جملة من الاستنتاجات هي:

- ❖ الثغور لم تكن نوع واحدا، بل قسمت إلى أكثر من نوع منها البرية المقسمة إلى قسمين، شامية مقابلة للعدو من جهة الشمال الغربي، وجزرية مقابلة للعدو من جهة الشمال الشرقي، إضافة إلى الثغور البحرية المقابلة للبحر الرومي.
- ❖ منذ تولي العباسيين الحكم، اختلف نوع العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين فقد كانا خصمان دائمان لبعضهما البعض، حيث شكل كل منهما خطرا على الآخر و بذلك أصبحت علاقتهم بين مد وجزر متأثرة بانشغال الطرفين في قضاياهم الداخلية، لذلك شنت الحملات وقامت المعارك بين الطرفين، فكانت العلاقات بينهما إما حرب و قتال أو هدنة سلام.
- ❖ أولى الخلفاء العباسيين اهتماما كبيرا بالثغور، فقد بذلوا الجهد والمال من أجل تحصين القلاع الثغرية وبناء الحصون الجديدة، وتزويدها بالرجال والعتاد، كما اهتموا باختيار القادة الشجعان المقربين منهم لتولي مناطق الثغور والدفاع عنها.
- ❖ اتبع خلفاء بني العباس في حمايتهم لتخوم بلادهم على أسلوب الحملات العسكرية السنوية المنظمة، إلا أنه لم يقتصر على ذلك بل وصل بهم الأمر لقيادة هذه الحملات بأنفسهم كما فعل المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم.
- ❖ أدى هذا الاهتمام بحماية التخوم إلى نشوء مدن ثغرية تنوعت الحياة الاجتماعية فيها فقد اختلف فيها أعراق السكان إلا أن هذا لم يمنع من سياسة التسامح بين مكونات المجتمع الثغري، إضافة إلى استفادتهم من الامتيازات الممنوحة والمتمثلة في الإقطاعات والعطاء وغيره.
- ❖ ازدهرت الحياة العلمية في الثغور نتيجة لكثرة العلماء والفقهاء الوافدين إليها رغبة في تحصيل أجر الانقطاع والانعزال والرباط والجهاد في سبيل الله، ولأخذ الحديث من رجاله وحفاظه

المتواجدين في الثغور، مما جعلها دار هجرة لطلبة العلم والحديث ومحور اهتمام لخلفاء بني العباس وأمراء الثغور.

- ❖ بالرغم من أن الهدف الأساسي الذي انشأت من أجله الثغور كان هدفا عسكريا، إلا أنها لعبت أدوار متعددة امتدت للسياسي والأمني والحضاري والاقتصادي.

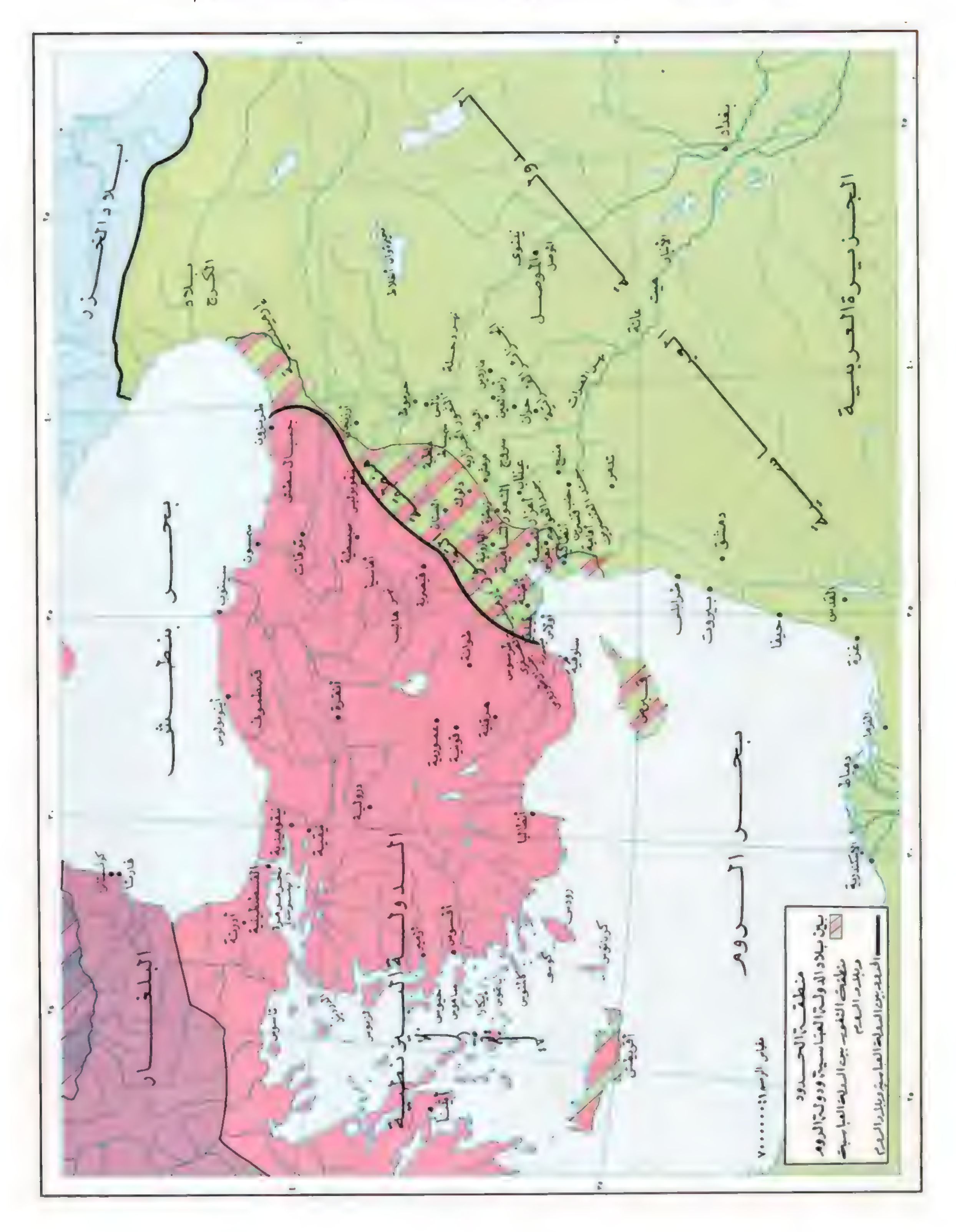
- ❖ ساهمت الثغور بشكل واضح في الحياة الاقتصادية، من خلال عائدات الحملات العسكرية المبعوثة لبلاد الروم والتي كانت موردا أساسيا لبيت المال العباسي، لكن في نفس الوقت شكلت النفقات التي تصرف على مناطق الثغور خاصة في المجال العسكري عبئا ثقيلا على كاهل بيت المال والسكان.



الملاحق

الخريطة رقم: 01

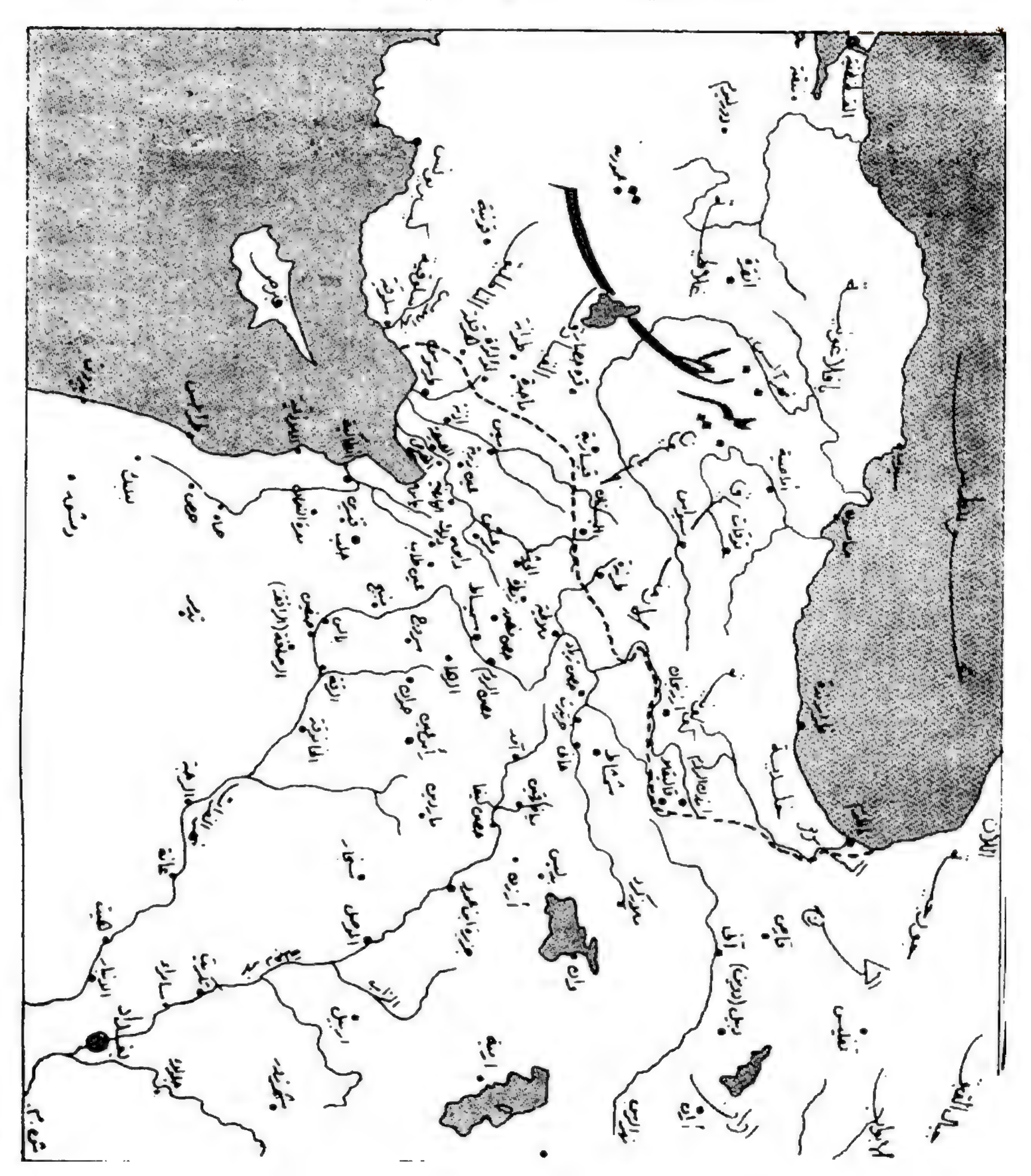
العنوان: منطقة الحدود بين الدولة العباسية ودولة الروم



نقلا عن: حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص50.

خريطة رقم: 02

العنوان: خريطة عامة للثغور البرية الشامية والجزرية



نقلا عن: شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج2، ص 242.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. عز الدين ابن الأثير، ت630هـ)، الكامل في التاريخ، ج5،6 تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1997م.
2. الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، ت560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1،2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
3. الأزدي (أبي زكريا بن يزيد بن إياس الأزدي، ت334هـ)، تاريخ الموصل، ج1، تح: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006م.
4. الإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي، ت346هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م.
5. البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري، ت279هـ)، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.
6. البغدادي (عبد المؤمن ابن عبد الحق ابن شمائل القطيعي الحنبلي، ت739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1-3، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992م.
7. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ج7-9، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992م.
8. ـــــ، مناقب الإمام أحمد، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط2، 1988م.
9. ـــــ، صفة الصفوة، تح: خالد مصطفى الطرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.
10. ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، التميمي أبو حاتم، ت354هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، ط1، الهند، 1973م.

11. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ت).
12. الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، ت900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975م.
13. الحميري (نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ت573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج1، تح: حسن بن عبد الله العمري، دار الفكر، ط1، بيروت، 1999م.
14. ابن حوقل (محمد بن حوقل البغدادي الموصلي أبو القاسم، ت367هـ)، صورة الأرض، ج1، دار صار، ط2، بيروت، 1938م.
15. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، ت280هـ)،المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889م.
16. الخطيب البغدادي (أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، ت463هـ)، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، ج10، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002م.
17. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد الحضرمي الإشبيلي، ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ من غبر من العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج3، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، 1988م.
18. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، 5 تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1994م.
19. بن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1397هـ.
20. الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت276هـ)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992م.

21. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، 282هـ)، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط1، القاهرة، 1960م.

22. الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن فايماز الذهبي، ت748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج3، 4، 9، 10، 12، 18، 19، 22، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1989م.

23. ـــــ، سير أعلام النبلاء، ج7، 8، تح: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1981م.

24. ـــــ، العبر في خبر من غبر، ج1، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

25. سليمان الهيثمي (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج10، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.

26. السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني أبو سعد، ت562هـ)، الأنساب، ج1، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني وغيره، دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر أباد، 1962م.

27. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، القاهرة، 2004م.

28. ابن الشحنة (أبي الفضل محمد ابن الشحنة، ت890هـ)، در المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي، دمشق، 1984م.

29. ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت684هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحي زكريا عبادة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.

30. شهاب الدين (أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري، ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ.

31. الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج4، 7، 8، 9، دار التراث، ط2، بيروت، 1387هـ.

32. ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، ت280هـ)، كتاب بغداد، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 2002

33. ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله أبي جرادة العقيلي كمال الدين، ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (د، ت).

34. ــــ، زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996م.

35. أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي، ت333هـ)، المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، ط1، السعودية، 1984م.

36. ابن عساكر (أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت571هـ)، تاريخ دمشق، ج4، 6، 7، 35، 38، 71، 73، تح: عمرو بن غرامه العموري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.

37. ابن العماد الحنبلي (عبد الحي ابن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح، ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج2، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1986م.

38. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهشاه بن أيوب، ت732هـ)، المختصر في أخبار البشر، ج2، المطبعة الحسينية، ط1، مصر، (د، ت).

39. ــــ، تقويم البلدان، تح، المستشرق رينود، المستشرق ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، 1850م.

40. ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، ت365هـ)، مختصر كتاب البلدان، تح، يوسف الهادي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1996م.

41. قدامة بن جعفر (قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، ت337هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، ط1، بغداد، 1981م.

42. قدامة المقدسي (أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ت620هـ)، المغني، ج9، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1968م.

43. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ت682هـ)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د، ت).

44. ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد شمس الدين بن قيم الجوزية، ت751هـ)، أحكام أهل الذمة، تح: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، دار مادي للنشر، ط1، الدمام، 1997م.

45. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المصري ثم الدمشقي، ت774هـ)، البداية والنهاية، ج1، 10، 14، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، (د، م)، 1997م.

46. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد حبيب البصري البغدادي، ت450هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د، ت).

47. ابن المبرد (يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي جمال الدين ابن المبرد الحنبلي، ت909هـ)، تذكرة الحفاظ وتبصرة الإيقاظ، دار النوادر، ط1، سوريا، 2011م.

48. محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، ت764هـ)، فوات الوفيات، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1974م.

49. المزي (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين القضاعي الكلبي المزي، ت742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج16، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1980م.

50. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت346هـ)، التنبيه والأشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د، ت).
51. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 2005م.
52. ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج3، 4، تح: سيد كسوري حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
53. المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي الشاري، ت380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1906م.
54. المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني تقي الدين المقريزي، ت485هـ)، المقفى الكبير، ج6، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991م.
55. المهلبي (الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، ت380هـ)، المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي، جمعه: تيسير خلف (د. م) (د. ت).
56. مؤلف مجهول، (ت372هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ.
57. ابن نباتة (جمال الدين ابن نباتة المصري، ت768هـ)، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (د، ت)، (د، م).
58. ابن النديم (أبو الفرج محمد أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوارق، ت380هـ)، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1997م.
59. النيسابوري (أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري، ت429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، (د، ت).
60. الهرثمي الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تح: عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة، مصر، (د.ت).

61. ابن هشام (عبد الله بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين، ت213هـ)، السيرة النبوية، ج2، تح: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1990م.

62. الواقدي (بن عمر بن وقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي، ت207هـ)، فتوح الشام، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.

63. ـــــ، المغازي، ج1، تح: مارسدن جونس، دار الأعملي، ط3، بيروت، 1989.

64. ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس أبو حفص زيد الدين ابن الوردي، ت749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996.

65. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت626هـ)، المشترك وصفا والمفترق صقعا، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1986.

66. ـــــ، معجم البلدان، م1-5، دار صادر، بيروت، 1977م.

67. اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي، ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، ج2، 3، منشورات المكتبة الحيدرية، بغداد، 1964م.

68. ـــــ، البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ.

69. أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن سعد الأنصاري، ت182هـ)، الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

2- المراجع العربية والمعربة:

1. أحمد توني عبد اللطيف، العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية، 132-232هـ، مركز الإسكندرية للكتاب، 2004م.

2. أحمد وصفي زكريا، جولة أثيرة في بعض البلاد الشامية، دار الفكر، ط2، دمشق، 1984م.

3. أرشيبالد-ر-لويس، القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د، ت).

4. تدميري، (عمر عبد السلام تدميري) لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، 13-132هـ/634-750م، جروس برس، ط1، طرابلس، 1990م.
5. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلامي، ج14، 15، دار الساقي، ط4، بغداد، 2001م.
6. جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية 248-1453م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005م.
7. حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987.
8. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة ج14، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، 1988م.
9. الراسي (الشيخ زيادة بن يحي الراسي) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، تح: السعود بن عبد العزيز الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 2003م.
10. رستم أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج1، دار المكشوف، ط1، بيروت، 1955م.
11. ريني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة المسيرية، مكة، 1884م.
12. الزهراني،(ضيف الله يحي)، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة المكرمة، 1986م.
13. بن زيد (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد الدمشقي الحنبلي)، محاسن المساعي في مناقب الإمام عمرو الأوزاعي، تح: الأمير شكيب أرسلان، مطبعة الحلبي، القاهرة، (د، ت).
14. شاكر مصطفى، دولة بني العباس، ج1، 2، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1973م.
15. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف ط8، القاهرة، (د، ت).

16. صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، ط1، إيران، 1417هـ.
17. صلاح عبد الفتاح الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دار القلم، ط1، دمشق، 2007م.
18. الصنوبري (أحمد محمد بن الحسن الضبي)، ديوان الصنوبري، تح: احسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1998م.
19. عباس إحسان، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1988م.
20. عبد الستار الشيخ، الإمام الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، دار القلم، ط1، دمشق، 2006م.
21. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، ط1، القاهرة، 1428هـ.
22. العريني السيد الباز، الدولة البيزنطية، 323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ت).
23. علية عبد السميع الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.
24. الغزي (كمال بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الشهير بالغزي) ، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج1، دار القلم، ط2، حلب، 1419هـ.
25. فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ج1، دار الشروق للنشر، ط1، عمان، 2009م.
26. فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج3، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د، ت).

27. القنوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي)، التاج المكلل من جواهر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر، 2007م.

28. كحيلة (عبادة بن عبد الرحمن رضا)، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، ط1، الكويت،(د، ت).

29. كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تح: بشير فرنسيس وكروكيس فؤاد، مؤسسة الرسالة، الكويت، (د، ت).

30. محمود سعيد عمران، معالم الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، القاهرة، 2000م.

31. محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية، دار المعارف، ط2، مصر، 1969.

32. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004م.

33. محمد كرد علي، خطط السام، ج1، 4، مكتبة النوري، ط2، بيروت، (د، ت).

34. مفتاح يونس الرباصي، المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، 132-232هـ، منشورات جامعة 6 أكتوبر، مصر، (د، ت).

35. علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة الأموية دولة الفتوحات 41-321هـ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1992م.

3- القواميس والمعاجم والموسوعات:

1. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ت487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2-4، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1403هـ.

2. ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت321هـ)، جمهرة اللغة، ج1، تح: رمزي منير بعلكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م.

3. الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، ت1205هـ)، تاج العروس، ج6، 7، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1994م.
4. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، ت1396هـ)، الأعلام ج2، دار العلم للملايين، ط15، القاهرة، 2002م.
5. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ج5، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 2000م.
6. ـــــ، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
7. عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الإسكندرية، ط1، الإسكندرية، 2000م.
8. ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001م.
9. لويس معلوف، المجند في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، ط19، بيروت، (د، ت).
10. المقريئ الفيومي (أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 1987م.
11. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، ت711هـ)، لسان العرب، ج4، 7، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ.
12. المعجم الكبير، ج3، إشراف شوقي ضيف، مؤسسة روزاليوسف الجديدة، ط1، مصر، 1992م.

4- الرسائل الجامعية:

1. زهير عبد الله سعيد أبو رحمة، الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي 132-491هـ/750-1097م، كلية الآداب الجامعة الإسلامية غزة.
2. صونية بن سخرية، الثغور البرية الإسلامية دورها الحربي وأثره في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية خلال العصرين الأموي والعباسي الأول 41-232هـ/661-847م، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2012-2013).
3. فؤاد طوهارة، السياسة المالية في الدولة العباسية 132-232هـ، جامعة 08 ماي 1945م قالمة، (2016-2017م).
4. وردة العابد، القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري (ق 11-12م)، جامعة قسنطينة (2007-2008م).

5- المقالات والدوريات:

1. توفيق سلطان اليوزبكي، الثغور ودورها العسكري والحضاري، مجلة آداب الرافدين، العدد 11، 1 يوليو 1979، العراق.
2. جميل عبد الله محمد المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة العشرون، العددان السابع والسبعون والثامن والسبعون، محرم-جمادى الآخر، المدينة المنورة، 1408هـ/1988م.
3. سناء عبد الله عزيز الطائي، اقتصاديات الثغور في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، م9، العدد الثالث، 2010/04/07م، جامعة الموصل، العراق.
4. طه خضر عبيد، واقع البحرية العباسية في ثغور شرق البحر المتوسط 132-247هـ/749-861م، مجلة التربية والعلم، م18، العدد الثالث، 2011م، جامعة الموصل، العراق.

5. عمر يحي محمد، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الأيسورية 98-205هـ/117-820م، مجلة المؤرخ العربي، 2010، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

https://www.4shared.com/postDownload/KncqO4jZce/_.html اضطلع عليه بتاريخ 2018/05/28 على الساعة 22:00.



فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات